# اعترافات إبليس

اسم الكتاب: **اعترافات إبليس**

اسم المؤلف: **صفاء خالد**

تدقيق لغوي: **زينب أحمد**

تصميم الغلاف: **محمد دربالة**

تنسيق داخلي: **مينا تادرس**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٢٥٣**

الترقيم الدولي: **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٣٤**

**جميع الحقوق محفوظة للناشر©**

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

صفاء خالد

# اعترافات إبليس

إبهار
للنشر و التوزيع

**إهداء إلى:**

يوسف بطل الرواية.

هدايا الله لي.. أحيانًا تأتي الهدية على هيئة صديق:

فاتن عثمان.. شيماء حجاجي.. تسنيم موسى..

هبة النابي.. وآمنة عبد الراضي.

زميلَيّ في الجامعة اللذين دعَّماني بشكل ما:

محمود سعدي.. ومحمد سلامة.

**أحيانًا يضلّ العقل والقلب يموت، وصوت الفطرة ينخفض يكاد لا يُسمع، ولكن في كل هذه الأمواج قل يا الله وسينهضون جميعًا، واتبع حدثك فإنه يقود للحقيقة.**

"عرفت الحب لأول مرة في حياتي. إنه كالموت تسمع عنه كل حينٍ خبرًا ولكنك لا تعرفه إلا إذا حضر. وهو قوة طاغية، يلتهم فريسته، يسلبه أي قوة دفاع، يطمس عقله وإدراكه، يصب الجنون في جوفه حتى يطفح به، إنه العذاب والسرور واللانهائية".

نجيب محفوظ

# فاطمة

هبت العاصفة هوجاء تائهة في قلبي، وهبت معها رياح الهم والحزن، هبت قوية تحمل معها كل غبار اليأس وبدأت تشتد وتشتد.. وبدأت أصرخ وأصرخ: يوسف.. يوسف.. أين أنت؟ شعرت كأني سفينة في وسط البحر، وحيدة تائهة واقتربت العاصفة، اقتربت حتى كادت أن تفتك بي.. أجل حطمت قلبي ومزقت خيوط الأحلام التي كنت أرسمها معك. كم أشعر أن قلبي تمزق وتحطم.. يوسف اسمك يجري في عروقي.. يوسف هل تسمعني؟ ألم تقل لي إنك تسمع صوت روحي؟ أين أنت؟ لماذا تركتني أتخبط في الذكريات المؤلمة؟ سأكتب قصتك في دفتري لأخلدك ولأمتلكك وحدي، لم تقاسمني فتاة أخرى فيك هنا... سأختلي بك بعض الساعات هنا في دفتري.
هل تتذكر لقاءنا الأول؟ كنت خائفة وسعيدة ومترددة بعض الشيء.. مددت يدك لتصافحني وأنت تقول: كيف حالك؟ ترددت أن أمد يدي لأصافحك، ولكن لم أشعر غير أن يدك تحتضن يدي.. كانت يداك دافئتين فشعرت بدفء قلبي... سرقت نظرة سريعة لأجد عينيك تنظران لي بنظرات تخترقني فأجد نفسي تائهة.. ماذا أقول؟ لا أعلم.. هربت مني الكلمات فلملمت نفسي لأستيقظ على قول الحمد لله. أحببت نظراتك

التي تحتضنني.. تطمئنني، تقول: سأكون بجانبك، وسيكون كل شيء بخير.. لا تخافي سأكون معك.. ولكن أين أنت الآن؟ أين نظراتك؟ اختفت لتصبح ذكرى مؤلمة في قلبي.. لماذا تسكن في داخلي؟.. لماذا حروف اسمك تتبعثر في خلايا دمي؟.. لماذا ذكرياتك تحتل عقلي؟.. لماذا تسكن في داخلي؟ وكيف أهرب منك وأنت تحاصرني؟!

أربعة أعوام وأنا سجينة باسم الحب، ولا ذنب للحب في سجني.. قلت ببراءة أطفال إنني مستحيل أن أعيش بدونك، وقلت بمكر سجان معتقل مجرمة، وأنا مستحيل أن أتركك.. لماذا اعتقلتني؟

لماذا أصبحت مجرمة في نظرك لتسجنني؟ أيمكن لأنني ضعيفة، والضعفاء لا يعيشون أحراراً.. لهذا السبب؟

أتساءل من أين أبدأ لأسجنك في ورقتي كما سجنتني في حبك.. ذكرياتك تحاصرني فتلتف حول عنقي.. إنني أختنق.. أختنق بحبك.

ألم يقولوا إن الحب شعور جميل ورائع؟ ولكني أشعر أنني الآن في سجن، وليس حب. عندما اعترفت بسرك قلت لي: سأستغنى عنك، وسأتركك إذا عرفته، أدركت أنني سجينة بالفعل.

لماذا اعترفت به الآن؟ ولماذا لم تقل هذا السر منذ لقائنا الأول؟؟

لماذا صمت أربعة أعوام؟؟

لماذا هبت العاصفة في قلبي عند سماعي بالسر؟

أحببتك حد الجنون.. حديثك.. صوتك.. ضحكاتك تتسلل داخلي فأشعر بسعادة أنسي بها همومي، كنت أنت الوحيد الذي أقحمه في مشكلاتي، وكنت تقول: خير لا تقلقي، أبشري.. فأتفاءل كأنك حللت مشكلتي، كنت حمقاء حقًا.. لماذا الحب يجعلنا حمقى.. أغبياء؟.. أتذكر عندما قلت

أحببت فتاة اسمها سمية، كانت حبك الأول، وقلت بغضب طفلة: أين ذهبت؟ لماذا تركتها؟ وقلت بمكر تزوجتْ وعندها ابن اسمه يوسف.. وقلت بذهول: يوسف!!؟.. أجل ابنتنا القادمة سأسميها سمية.. كنت تتحدث بجدية.. فانفجر الغضب داخلي.. ماذا أفعل؟ أيعقل أن تقول هذا لمن أحببت؟ أم أن سمية كانت حبك الأول والأخير؟

غضبت.. وصمت.. ولم أحدثك ولم تحدثني يومًا.. شهرًا.. شهرين!! تمر الأيام والشهور أمامي وأنا أختنق، أجل حبك أصبح الأكسجين الذي أتنفسه.. لماذا لا تتصل لتعتذر؟ ألم تكن أنت المخطيء أم أنا التي أخطأت لأغضب من فتاة متزوجة. أقنعت نفسي أنني أخطأت لأحدثك، لأسمع صدى صوتك، لتدب فيّ الحياة من جديد، أجل إنني أصبحت بدونك ميتة تمامًا، اتصلت بك.. يوسف كيف حالك؟ .. وقلت أخيرًا سمعت صوتك.. اشتقت لك.. شعرت أنني أتنفس أخيرًا أتذوق السعادة التي حرمت منها منذ شهور. كان صوتك له تأثير على تغير مزاجي للأفضل، وكنت تعلم هذا علم اليقين، فاستخدمته سلاحًا ضدي، وكنت سعيدة بهذا، وسميته الحب!! إنني أحبك يوسف.. إن اسمك يبعث في قلبي سعادة لا توصف، لماذا النطق باسمك يختلف عن باقي الأسماء؟ أشعر شعورًا غريبًا لا أستطيع وصفه كأني لم أنطق باسمك إلا من صميم قلبي، كنت سعيدة وأنا أحدثك وأمازحك.. تتغير نظرتي للحياة فأجد كل الأشياء حولي تتراقص في تناغم، وكنت تتلذذ عندما أغضب، أتعصّب.. قلت وكأنك تمازحني: ماذا تفعلين إذا تزوجت عليك؟ قلت بغضب: سأتركك.. وقلت ببرود: لماذا يا حبيبتي؟ قلت لأني أكره هذا.. أرجوك لا تفتح هذا الموضوع، ولا تمازحني في هذا، وكنت أسمع صوت ضحكاتك، وكأنها حبل مشنقة يلتف حول رقبتي، يخنقني، أشعر

أنني أختنق، أختنق، هل تريد أن تعرف مقدار حبي لك؟ أم أنك تمتحن الغيرة في قلبي؟ هل هذه الضحكات لأنك علمت مقدار الغيرة في قلبي؟ أم لأنك استثرت غضبي لتتلذذ به؟؟ كنت تفتش لتفتح باب الغضب داخلي، واعترفت ذات مرة وقلت أحب أن أراك هكذا.. تبدين أجمل.. ماذا؟ هل أعصابي عندك علبة مكياج لتزينني؟ مع ذلك كله كنت أحبك، هل كان غباء مني أن أحبك؟ أشعر حبك مثل فيروس اخترقني وأنا استسلمت، استسلمت لمصير يدفعني إلى الهلاك المحتوم يوسف.

عندما أشتاق إليكَ أغوص في قلبي لكي أراكَ..

أفتش مثل المجنونة التي فقدت العينين لكي أراكَ..

عندما أشتاق إليكَ أنظف القلب وأرشه بالعطر والريحان..

حبكَ جعلني كالمجنونة أبحث عنك في ذاكرة النسيان..

أبحث عنكَ في قلب الهجران..

حبكَ جعلني كالأميرات أتزين لأراكَ..

حبك جعلني كالأطفال أبكي عندما أشتاق إليك..

أجل أبكي عندما أشتاق إليك يا يوسف.. لماذا؟ لماذا فعلت هذا بي؟ ولماذا قلبي يدق باسمك؟ لما تركتني لأواجه مصيري؟ قلت لا بد من التضحيات في هذه الحياة، ولماذا أصبحت أول تضحياتك؟ أشتاق إليك.. أقسم لك إنني مشتاقة إليك.

ولو كان الاشتياق رجلاً لقتلته، ولكنه كان لصًا سرق مني قلبي ليحرقه بوقود الاشتياق.. لماذا أحبك؟ لماذا؟ سؤال دفعني إلى الجنون؟ لماذا أحببتك؟ لماذا صدقتك؟ لماذا وثقت بك؟ أتذكر عندما أتيت لخطبتي، كنت في عالم ليس عالمي تتناثر ذكريات هذا اليوم الملعون في ذاكرتي كأنها غبار يتناثر في

الجو.. أتذكر عندما قالت مكة: لماذا تبكين؟ هذا يوم خطبتك على يوسف حبيب قلبك؟ ولا كنت أمتلك الجواب لأرد عليها، عندما أتذكر تهب العاصفة في قلبي لتمزقه، كنت أعلم أن هذا اليوم الملعون سيلتصق في ذاكرتي ليسممها، وكنت أعلم أن الخطبة لم تتم، وستحدث كارثة لا أعلمها، إنك تخليت عني وعلمتني فن التخلي، أن تنفصل كما تنفصل الورقة من الشجرة لكي تتحرر من الوعود، وأنا كنت الورقة التي انفصلت منك لتسقط متهاوية مصروعة فوق الأرض كالأموات لتنقطع عنها كل مقومات الحياة لتموت، لتموت فقط يا يوسف، لتموت.

ماذا تريد مني الآن؟ لبست ثوب الندم وجئت تعتذر، أيفيد الاعتذار بعد مقتلي؟ أينفع الندم بعد جنازتي؟ أنت الذي قلت لم أكن اختيارك، هم من اختاروني، من هم يا يوسف؟ كنت دمية معك ومعهم، كيف ألملم نفسي التي بعثرتها مثل حبات الرمل؟ كيف أصلح قلبي الذي انفجر وتناثر فتاته داخلي؟ قتلتني وأنا بلهاء أتيت إليك بسكين قتلي لأسلمها لك!! كيف أكون حمقاء بهذه الدرجة.. أسلمك سلاح قتلي بيدي وأشاهد مقتلي بابتسامة تزين وجهي!! كم أنا حمقاء!! قتلت الثقة داخلي، قتلت الحب، لم أعد أثق في مكة ولا حتى أشرقت.. قتلت الثقة داخلي.. أجل أصبحت قاتلاً يا يوسف، قتلت الثقة في نفسي، أكنت تخطط لهذا مسبقًا؟ قلت إنك تتحكم في أفكاري، وتغير تفكيري.. تجعلني أذهب وأكلمك عندما تشتاق لي، من أنت يا يوسف؟ عندما سلمت عليّ اخترقتني لأصبح لعبة في يديك، لماذا أنا؟ لماذا اختاروني أنا؟ ومن هم يا يوسف؟ تحدثْ، قل شيئًا، لا تصمت، تحدث يا يوسف، قل للجميع ماذا فعلت بي؟ قل حقيقتك التي تخفيها، قلها ولا تخف، أجعل الناس تحكم بيننا، تحدث.

**إن العذاب هو المصدر الوحيد للإدراك، رغم أنني قلت في البداية إن الإدراك هو أسوأ ما يتميز به الإنسان.**

**فيودور دوستويفسكي**

# يوسف

أتذكر يومًا سألت فيه أمي من خلق الله؟ غضبت وقالت بعصبية: أنت صغير وهذه الأسئلة لن تفيدك الآن، قلت ومتى تفيدني؟ ردت بعصبية أكثر: هذه الأسئلة كفر ولن تفيدك على الإطلاق. كنت أعلم في نفسي أنها لا تملك الإجابة، لذلك أوهمتها أني اقتنعت برأيها، كنت في شك من وجود الله، أين هو؟ أنا لا أراه، لماذا يختفي وراء الحجاب، ولكن لا أحد يرد، كانت الأسئلة تتأرجح في داخلي كأنها مفتاح لفتح بركان من الإلحاد، كنت صغيراً لا أفهم شيئًا، ولا أحد يريد أن يحاورني في هذا الموضوع كأن الخطيئة أن تفتح بابًا من الأسئلة فيه، أو كأنه كفر إذا سألت فيه، أم أنني كنت في بيئة جاهلة عن الدين، فقط يصلون كأن الصلاة حركات.

كنت ذكيًا في الدراسة ودائمًا أسبق زملائي في الدرجات، كنت أشعر كأني مختلف عنهم وعن الجميع، كنت فضوليًا أكثر مما ينبغي، أحيانًا أشعر أن الفضول قتلني، أجل إنه لعنة أحذرك منها يا صديقي، لعنة الفضول تميتك، تجلب لك الكثير من المشكلات وأحيانًا تفيدك وتجعلك تصعد إلى القمة وتفتش عن دينك واعتقادك وتصححه إلى الأفضل، ولكن الفضول أصبح لعنة عندي، قذفت بي إلى الهاوية، إلى الموت النفسي، سلبت مني

الإرادة والاختيار، لم أستطع أن أختار شيئًا في حياتي منذ ذلك اليوم اللعين، الليلة السوداء.

أنت يا صديقي لا تعلم بقصتي وإذا علمت ستشفق عليّ في بدء الأمر، ثم ستخاف مني وقلبك سيرتجف وستحاول أن تمحوني من حياتك، أجل يا صديقي أصبحت ظل شبحٍ في هذه الحياة. سحقًا لهذا الكتاب الملعون، جعلني أختفي وأظهر في أي مكان كأني شبح بالفعل، لذلك سألتزم الصمت لكي لا تخف، ولكن الصمت انفجر في داخلي وأصبح حديثًا، كلمات، وكثير من الكلمات أقتلها لكي لا تخرج من شفتي، كيف أحررها من داخلي ستخاف كثيراً مني، وأنا في المقابل سأسجن هناك في مكان لا يعرفه أحد سيؤذونني ولا أحد سيساعدني لذلك التزمت الصمت لكي لا تخف وتطمئن، ولكي لا أخسرك كما خسرتها فاطمة اسمك يبعث في نفسي ألمًا وشوقًا، عندما أمسكت الكتاب الملعون وقرأت عنوانه "العلويون والسفليون" من هم هؤلاء؟ عمن يتحدث الكتاب؟ لماذا تسلل الفضول داخلي؟ لماذا أسمع صوتًا يهتف داخلي: اقرأ.. اقرأ.. اقرأ لتعرف من هم، ماذا أقرأ بحق الجحيم؟ عندما أتذكر هذا الصوت أريد أن أقتله أدمره كما دمرني، أسمع سؤالك يا صديقي، نسيت أن أخبرك أنني أملك قوة خارقة، أسمع كل ما يدور في عقلك، لأنني قادر على قراءة الأفكار، تقول هذا عبث، أعلم هذا، ولكن الحقيقة أقسم لك أنني قادر على قراءة أفكارك، وأعلم ماضيك وأيضًا مستقبلك، إنها قوة خارقة امتلكتها من هذا الكتاب الملعون، ألم يكن سؤالك كيف أصبحت هكذا؟ كيف امتلكت الكتاب الملعون؟ ومن هم العلويون والسفليون؟ ألم يكن هذا سؤالك؟ لا تجعل فضولك يقودك كما فعل بي، سأخبرك بكل شيء، وأنا أعلم أنك

ستخاف مني كما فعلت فاطمة، وقلبك سيرتجف، ولكن أنا حقًا لن أؤذيك، لا تخف، أقسم لك لن أؤذيك، لا تتركني كما فعلت فاطمة، أنا شخص طيب أقسم لك، إنني أطيب شخص عرفته، ولكن القدر الذي جعلني هكذا.. قدري جعلني أعلم كل شيء عنك، تتعري أمامي بكل ماضيك.. إنه القدر أعطاني قوة خارقة، لكي أغوص في أعماق عقلك، أغير تفكيرك، أبدل مشاعرك، أجل أملك قوة تجعلني أعيش في داخلك.. أرى آلامك وأحزانك.. أملك قوة تميزني عنك وعن جميع البشر، القدر الذي أعطاني القوة الخارقة، أم فضولي الذي ساقني لكي أقرأ الكتاب الملعون، ابتلعتني عاصفة الكتاب الملعون لأجد نفسي في عالم ما وراء الطبيعة، لم يكن لدي الخيار، أرغمت أن أعيش معهم، إنهم السفليون، أشعر أنك بدأت تخاف مني يا صديقي، سأصمت لكي تبتلع خوفك، لا تخف، هنا في هذا العالم نقدر على قياس الخوف في قلبك، إذا ارتفع الخوف عندك نستطيع أن نسيطر عليك، نصيحتي ألا تخاف، هذا العالم غريب حقًا وعجيب يفتت كل ما تؤمن به في عالم المادة، هل ترى الأفكار، الخوف، الغضب، آلامك، الحب، الكره، كل هذا الأشياء نشعر بها، ولا نراها، لا أحد يستطيع أن يري أفكارك في العالم المادة، ولكن هنا في هذا العالم نرى كل شيء، كل ما هو خفي نراه، نستطيع أن نسحق الكره الذي يملأ قلبك يا صديقي، كيف دخلت هذا العالم اللعين؟ سؤال يتأرجح داخلك أعلم هذا.

كان عمري أربع عشرة سنة عندما أتى صديق والدي إلى بيتنا ليسلم على أبي، لم يكن صديقًا، كان مجرد جار يقع بيته بالقرب من بيتنا، لم أكن أختلط به، كان عجوزًا ولا يتحدث كثيراً، اقتحم بيتنا ليقول يا ابني ضع هذه الكتب عندكم، أنا مسافر الآن، وسآتي لأخذها في وقت آخر، لم يكن

لي خيار غير القبول، لماذا أقول لرجل عجوز يقف على باب الموت لا لن آخذ كتبك القديمة، ليس لدينا مكان في البيت، ما أوسع منزلنا، يوجد بالتأكيد ألف مكان نضع فيه كتبه.

استسلمت لهذا الطلب وأخذت كتبه ووضعتها في غرفتي لأحافظ عليها من عبث أختي الصغيرة، يجب أن أحافظ على أمانة تعتبر أول أمانة امتلكتها. كانت الكتب قديمة، كانت اللعنة المميتة التي قيدتني عن الحرية، أصبحت سجيناً مقيداً بقيود مخفية، لا أستطيع غير قول أجل سأفعل هذا، وماذا لو لم أفعل أكنت سأموت حتماً، دخلت في اللعنة، في أبواب جهنم، كلها تتفتح أمامي كأن الكتاب الملعون هو مفتاحها، لم يأت العجوز واحترق الكتاب الملعون بعد ما قرأته بثلاثة أيام لأدخل في أبواب جهنم، أبواب اللعنة، ماذا أقول يا صديقي؟ كيف أخبرك؟ إنني غير قادر على أن أشرح لك، أن أبوح بالكلمات التي تميتني، ولكن بعد أربعة أعوام تحررت الكلمات من شفتي لفاطمة، حكيت لها كل شيء بوضوح وصدق، لم أرِد أن أبني معها منزلاً يؤسس على الكذب والخداع، ولكن لما تفوهت بالتفاهات، صدقتني والتزمت أن تبعد وتتركني، لماذا تفوهت بالكلمات؟ لقد أصبحت الكلمات هي السلاح الذي قتلني، ندمت وغرقت في بحر الندم، لماذا قلت؟ لماذا تكلمت؟ كان يجب ألا أتحدث، أم أنني أصبحت لعنة، ويجب أن تتركني لكي لا تصاب بها هي أيضًا، لا أعلم أي شيء، أتذكر عندما قالت إن بيتها فيه سحر، لماذا قلت لها الحقيقة؟ لماذا لم أصمت؟ كان يجب أن أحترق شوقًا لأتعلم أن أصمت، قلت لا تظلمي أحدًا يا فاطمة، لا يوجد في بيتك سحر، يوجد شيء أكبر من السحر، أذهبي للشيخ، أو أي ساحر وستعلمين ماذا يوجد.

- أنت تعلم؟ قالت بذهول.

وقلت:

- أجل.

- ماذا تخفي عليّ يا يوسف؟ قالت بتردد.

وقلت:

- لا شيء، فقط اذهبي لشيخ كما قلت.

- لا لن أذهب قل ماذا تخفي عليّ. قالت بحدة.

كنتِ يا فاطمة الوقود الذي يساعدني على الحياة، لماذا تركتني؟ وقلت باستسلام:

- يوجد رصد حارس مقبرة في بيتكم، لا أعلم ماذا يحرس، ولكن أعتقد أنه شيء ثمين لأنه حارس قوي وشرير.

قالت بذهول:

- ماذا وكيف عرفت أنه رصد أو حارس مقبرة؟ كيف عرفت؟ كيف عرفت رد عليّ كيف عرفت؟؟

كنت مخدراً، مستسلماً لا أعلم لماذا اعترفت لها بكل شيء، أكان غباء مني، أم كان الحديث معها مثل برشام مخدر؟ لا أعلم ماذا أقول!! كنت دائمًا خلال الأربعة أعوام الماضية أحافظ على الحديث معها، لماذا الآن سكبت كل شيء من جوفي؟ لماذا؟

وقلت لها:

- تحدثت معه، كلمني.

قالت بذهول ودهشة:

- ماذا؟؟ تحدثت مع حارس المقبرة، مع الجن!! كيف ومتي؟

قلت باستسلام:

- في يوم خطبتنا قال الرصد مستحيل أن تتم الخطبة.

قالت:

- اصمت يا يوسف، لا أحب أن تمازحني في هذا، أنا حقًا أخاف، أصاب بالرعب، أصمت أرجوك.

قلت لها:

- حاضر.

وقالت:

- أنت تتحدث بجدية.

قلت:

- والله العظيم تحدثت مع الرصد، وقال مستحيل أن تتم الخطبة، ظننته طيبًا في البدء، ولكن تأثيره تناثر في الجو ليصنع التوتر، هو سبب بكائك، وسبب أمور كثيرة في ذلك اليوم، سبب رفض أمي وأهلي بعد أن وافقوا، وسبب رفض أهلك، وسبب الغضب الذي انتشر في الجو.

كانت مذهولة، غير مصدقة، أعلم أنها ذهبت إلى شيخ وقال لها نفس كلامي، ثم جاءت لتقول:

- يوسف كلامك صحيح تأكدت منه، ماذا أفعل؟ قل لي كيف حدثك الرصد؟ ولماذا لا يحدثني أنا؟ لا أعلم إذا فكر أن يحدثني أظن سأموت من الخوف بالتأكيد، الحمد لله أنه اختارك ليحدثك أنت ولست أنا.

قلت والابتسامة تشق وجهي:

- لا تخافي، لن يحدثك أبدًا.

قالت باستغراب:

- لماذا؟

قلت:

- تريدين أن يحدثك؟

قالت بفزع:

- لا لا، ولكن أريد أن أعرف لماذا.

قلت لها:

- لن أقدر على شرح كل شيء، ولكن أنا تعبت، ومرضت، في فترة من العمر في حياتي، لذلك أصبحت أرى الرصد وأحدثه.

قالت ببراءة:

- أه مثل صديقتي.

قلت فجأة:

- من أشرقت؟

قالت:

– كيف عرفت اسمها؟

قلت بفزع:

– إنها ملبوسة بجن طيّار.

توقفت عن الكلام، ولم أسمع صوتها، كأنها من فزع المفاجأة ألقت الهاتف لا أعلم بالتحديد.

سمعت صوتًا، خافتًا كاد لا يسمع مثل أنين مجروح، صوتًا اخترقني فتت قلبي، كان صوت أشرقت تقول ساعدني، ساعدني، يوسف أرجوك ساعدني، شعرت أنها تغرق بالفعل، كأنها في بحر الألم تغرق وأنا الوحيد الذي أشاهد غرقها وقادر على إنقاذها، علمت كل شيء عنها كأنها تتعرى أمامي بكل ماضيها المؤلم، لا تسألني يا صديقي كيف سمعت صوتها، ولكن أقسم لك سمعته كأنك تحدثني، كانت كلمة ساعدني تخترق سمعي وأذني كأنها تيار كهربي يتدفق في جسدي، علمت أنها ملبوسه أو مسلط عليها جن طيار وهي طفلة، توغلت في أعماق نفسها لأعلم كل شيء عنها لا أعلم كيف قالت ساعدني يا يوسف!! كيف علمت باسمي وأنا لم أرها قط، ولكن سمعت صوتها همسًا كأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، تحرك فيّ شيء لا أعلمه حتى الآن، أحسست أنها أختي وأنا مسئول عنها، أحسست أمامها بالقوة التي أفتقدها في عالمي الملعون، قلت في نفسي يجب أن أساعدها مهما كلفني الأمر، سأخرج هذا اللعين من جسدها الذي احتله، أعلم يا أشرقت أنك قاومته بكل جدارة، ولكنه في النهاية احتل جسدك ليعيش ويتغذى على دمك، وأنت تتألمين من هذا اللعين، إنه مثل فيروس سيدمر أعضاء جسدك، سأساعدك أيتها المسكينة لتحرري جسدك من هذا

الوغد اللعين، أعلم ألا أحد يعترف بألمك كأنك موهومة أو مجنونة، ولكني علمت أنا كل شيء عنك، اتصلت بفاطمة التي مازالت مفزوعة مني، وقلت لها أرجوك أعطني أشرقت سأتحدث معها، كنت أعلم أن أشرقت سترفض كما توقعت قالت لا، قلت لها افتحي الميكروفون سأقرأ بعضًا من القرآن، هي بجوارك؟ قالت نعم.. وبدأت أقرأ سورة "ق" حتى سمعت صوت نشيج بكاء عالٍ، وقالت فاطمة بفزع: يوسف أشرقت تبكي بشدة أصمت، قلت لها: لا تخافي، قولي لها أبشري، ثلاث مرات سينتهي بكاؤها بالتأكيد، استسلمت فاطمة وقالت لأشرقت أبشري ثلاث مرات فضحكت أشرقت، أعلم أن بكاءها سينتهي، وأعلم أن هذه الكلمة ستكون برشامًا مخدرًا لها لتتوقف عن البكاء، ولكن كيف سأساعدها قلت لفاطمة إن صديقتك تعذبت بما يكفي، وأريد أن أساعدها، أشعر أنها مثل أختي، ردت فاطمة بنبرة يأس:

- تستطيع مساعدتها؟

قلت:

- أجل.

- يوسف أنت لا تعلم شيئًا عنها، لقد ذهبت لأناس كثيرين وعرفت دجالين وشيوخًا ولا أحد فيهم قدم لها المساعدة.

قلت:

- أعلم هذا أيضًا، ولا أحد يستطيع مساعدتها غيري أنا.

قالت فاطمة بحدة:

- ما هذا الغرور الذي سيطر عليك يا يوسف؟!!

قلت:

– ليس غروراً إنها الحقيقة.

قالت:

– حقيقة ماذا؟ إن عقلي غير مدرك حتى الآن!! لم أستوعب الذي حدث!! أصبحت فجأة بعد أربعة أعوام إنسانًا خارقًا للطبيعة، علمت كل شيء عن صديقتي، وعن مرضها، من أنت يا يوسف؟ أشعر أنك شخص آخر لا أعرفه، لم يكن الذي أحببته، ماذا تخفي عليّ؟ كيف ستساعدها؟ عندما قرأت قرآنًا أصبحت تبكي كالمجنونة كأن صوتك منشط لمرضها، وأيضًا الكلمة التي قلتها أصبحت دواء لها ومخدرًا، والآن تريد مني أكون هادئة!! وتريد مساعدة صديقتي!! ألم تعلم أن الخوف تسلل لقلبي، لقد أصبحت أخاف منك، تكلم العفاريت وتعلم كل شيء عن أي شخص تريد معرفته!!

فقلت لها:

– وأراهم أيضًا.

قالت:

– من هم؟

قلت:

– العفاريت التي تتحدثين عنهم.

قالت:

– تريد أن تفزعني أكثر؟

قلت

– لا، ولكن هذه الحقيقة.

قالت

– أي حقيقة؟ أريد معرفة كل شيء عنك، أربعة أعوام وأنا لا أعلم كل هذه الأمور.

قلت:

– سأقول، سأعترف بكل شيء، ولكن الآن أريد مساعدة صديقتك، سأقول برنامج عبارة عن أوردة قرآنية أريد أن تفعله وستشفى إن شاء الله.

قالت فاطمة باستسلام:

– أجل سأقول لها أن تفعل هذا، يوسف عندما نتزوج عدني أنك ستنهي كل هذا.

قلت:

– أنهي ماذا؟

قالت:

– الذي تفعله.. إن قلبي يهتز رعبًا، لا أصدق أن أرى شيئًا خافتًا أسود عندما نتزوج وأقول لك ما هذا؟ فتقول إنه عفريت يا حبيبتي سيشرب مياه وينصرف لا تخافي.

فتنفلت مني ضحكة ترن في الغرفة، وهي تكمل الحديث:

– وأيضًا ستأتي أناس ألينا.

قلت باستغراب:

– لماذا؟

قالت:

– للشيخ يوسف، ألم تشعر أنك أصبحت شيخًا؟

فأفلتت مني ضحكة عالية أيضًا، كنتِ يا فاطمة العطر الذي ينعش قلبي، كنت أرى الرعب في قلبك، وأعلم أنني إذا تفوهت أكثر من هذا ستتركينني، أنتِ كنتِ الحقيقة الوحيدة التي تزين حياتي، ولكن لا بد أن أتفوه بالكلمات التي قتلتني، كيف أبني منزلاً على الغش والخداع؟ ولكني الآن ألوم نفسي كثيرًا، أريد أن أعتذر لك لكي تسامحيني، أصبحت عاشقًا ولهانًا لك أنتِ فقط، أعشق التراب الذي تمشين عليه، لست أبالغ، لقد أصبحت أتتبع أثرك كأني لص، أريد فقط أن أسرق نظرة أو حتى أسرق عطر اسمك فاطمة، اسمك يبعث في أعماق قلبي اهتزازًا يؤلمني.

تألمت حتى أصبحت مجنونًا بحبك، أصبحت عاشقًا فجأة، لم أكن أعلم أن هناك أبواب جهنم تنتظرني في داخل أعماق قلبي لتحرقني بالشوق، قلت لا بد من التضحيات، وضحيت بك لأجلك، لأنني أحبك، لأنك إذا أكملتِ معي الطريق ستتعذبين أكثر، ستكون حياتك جحيمًا معي، ولم أستطع مساعدتك، ولكن عندما تركتك انفتحت أبواب جهنم على مصراعيها في داخلي، ولم أقدر على غلقها فتمنيت لو ماتت الكلمات قبل النطق بها، لو رجع الزمن وأقفلت فمي الأحمق، علمتني فن الصمت أكثر.

الآن لا أريد مساعدة أشرقت، لقد خزلتني كثيراً، خزلتني لأنها لم تفعل ما أمرتها به، وأسمع صوتها يرن في مسمعي مثل الرصاص وهي تقول بحق لا إله إلا الله أن تبعد عن صديقتي، حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا يوسف لو اقتربت من صديقتي، تريد مني أن أتركك، كيف أتركك يا حبيبتي، أريد أن أخطفك إلى برج عالٍ لا يوجد به أحد سوانا، أريد أن آخذك تحت الأرض لتعيشي معنا، أعتذر لك يا حبيبتي على حب الامتلاك هذا، خذلتني صديقتك وكنت أريد مساعدتها، الآن لا أريد أن أساعدك فلتذهبي إلى الجحيم يا أشرقت لا يهمني.

**مع الزمن يتحول الألم إلى حزن، ويتحول الحزن إلى صمت، ويتحول الصمت إلى وحدة ضخمة وشاسعة كالمحيطات المظلمة!**

**جلال الدين الرومي**

# أشرقت

أنا ملبوسة..

ماذا؟

أجل يقولون ملبوسة وأحيانًا مسحورة، لا أعلم ماذا بي؟ صعب على الإنسان ألا يحدد مرضه..

ومن يقول؟

الدجالون والشيوخ يقولون هذا أيضًا، ولكني استسلمت بكل المقاييس، أعلم ألا شيء طبيعي يحصل معي، وأن كل شيء لن يصدقه العقل، ولن تصدقه حتى أنت، ولكني استسلمت.

سمعتهم يقولون مريضة نفسيًا، موهومة، مجنونة، ولكني صمت، حتى لم أدافع على نفسي، ماذا أقول هل أقول إنني ملبوسة.. مسحورة؟ هذا أصعب بكثير على ما أعتقد. مريضة نفسيًا أهون وأرحم ألف مرة من كلمة مرعبة مثل ملبوسة.

عندما يسمع أحد هذه الكلمة يهرب منك، ولا أخفى عنك أنا أيضًا إذا أصبحت مكانه سأهرب إلى أبعد ما يمكن، خانتني الحياة أم قدري الذي

بعثرني في عالم آخر ليس عالمي، لم أكن سأختلط بهم حتى جاء اليوم المشؤوم عندما مرضت، اعتقدت أنه مرض عادي سيذهب حتمًا، ولكن لم يذهب حتى اليوم، قلت وإذا مرضت سأتحمل، لن أكون ضعيفة، ولكن لم يكن مرضًا فحسب، كان بركانًا من الحمم البركانية انفجرت داخلي نوبات بكاء وصراخ هستيري، لا أعلم لماذا؟ ألم شديد يفتت كل خلايا جسدي، ولا أعلم لماذا صداع يفجر رأسي؟ ولا أعلم لماذا كوابيس تمزق منامي فأستيقظ مرعوبة خائفة حد الجنون، لا شيء، الحمد لله، كنت أحلم قلت في نفسي ولكن لم أقدر على منع نزول دموعي الخائفة والحائرة، لماذا يحصل هذا كله معي أنا؟ لماذا أنا بالذات؟، هل أخطأت ليعاقبني الله؟ لماذا العقاب قاسٍ؟ وكيف يعاقب الله طفلة لا ذنب لها؟ ولكن الله في الحقيقة كان يحرسني، يحفظني من العالم المجهول، علمت أنه ذنب أبي عندما كبرت، وأكثر ما آلمني أنني أصبحت في بيئتي مذنبة.
ما ذنبي؟ لا أعلم، كأنني أنا المجرمة، كأن ألمي وبكائي هو الإجرام بعينه!! أحسست أن العالم تآمر ضدي، أجل ضدي أنا، أنا الطفلة التي لا يتعدى عمرها أحد عشر عامًا، كنت لا أعلم أي شيء في هذا العالم، كل ما يهمني ألا يسبقني زملائي في الدراسة، لا أعلم لماذا أنا بالذات أبكي وبدون سبب؟ لماذا أنا بالذات أصرخ، أتألم، أختنق، ينفجر رأسي، أمرض نفسيًا؟ سألت نفسي تكرارًا ومرارًا ولم أجد أحدًا يرد عليّ لا أحد على الإطلاق.
أتذكر عندما استيقظت أمي لتجدني منهارة من البكاء، وكأن دموعي أمطار غزيرة ولا بد أن تسقط. كانت حياتي تمتلئ بالغيوم الكثيرة التي لا سبب لها فقط لتمنع الضوء من الوصول، أجل كنت أعيش في ظلام، سواد دام طويلًا حتى يئست أن يأتي الضوء، كيف لأعمى العينين أن يرى الضوء،

كنت كذلك عمياء العينين، عمياء الحياة، لا أرى الحياة كلها، حتى أعمى العينين يرى الحياة بقلبه، يشعر بالسعادة في بعض الأوقات حتى لو كان قليلًا، لكن أنا قلبي كان مغشيًا عليه، لا أستطيع أن أرى أي شيء، لا أشعر بسعادة إطلاقًا، كل شيء أسود، تعيس، لماذا أعيش؟ سألت نفسي كثيراً هذا السؤال، لماذا أظل أتعذب في هذه الحياة؟ أتظن أني لم أفكر في الانتحار، لا، فكرت كثيراً وحاولت، رأيت السيارة تسرع تسللت الفكرة داخلي سأتقدم أمام السيارة فجأة، سأتقدم ولكن سرعان ما تلاشت الفكرة ليدخل الضمير كأنه أستاذ يلومني، ما ذنب السائق أيتها البلهاء؟ ستدمرين حياته للأبد، سيسجن من أجلك، من أجل حياتك السوداء.

لا أعلم أنني أصبحت مريضة نفسيًا لأفكر في الانتحار، لا أتذكر أي صدمة مررت بها لأكون هكذا، كنت مدللا بين عائلتي، لا يرفضون لي طلبًا، في المدرسة دائمًا أسبق زملائي، وأساتذتي كانوا دائمًا يمدحونني، أصبحت بلهاء فجأة، غبية، أريد أن أنهي حياتي للأبد، وبدون سبب، كان صعبًا عليّ ألا أعرف سبب هذا كله، أين الأسباب؟ والتفسيرات؟ أين المنطق أيها العلماء؟ ستقولون إنني مريضة نفسيًا ستحددون نوع مرضي: اكتئاب أو وسواس قهري، سأقول لا، لم أكن مريضة نفسيًا وأعلم أنكم الآن تقولون المريض النفسي لا يعلم أنه مريض، ولكني أيضًا سأقول لا بكل قوتي، أنا أريد أن أشفى، ولكن لا تملكون العلاج، أجل أنتم لا تملكون العلاج، ولكن من يمتلك العلاج؟ من؟ الله هو الشافي، أجل الله هو الوحيد الذي يعلم ماذا بي.

نظرت إلى السماء بوجه ممتلئ بيأس وحزن وقلت أنت تعلم وهم لا يعلمون.. أتذكر عندما قالت أمي إنه حسد، أجل أنتِ محسودة، قلت

لها أيكون هذا العذاب الذي أتذوقه حسدًا؟ أيكون كل هذا الألم الذي ينهشني حسدًا؟ لماذا يا أمي أنا محسودة، إذا كان الحاسد يريد قتلي فليفعل سأكون شاكرة له، أجل يا أمي إنني أتعذب، أشرب كل يوم شراب الموت ولا أموت، قلبي ينفجر من الحزن، لماذا احتل بركان الحزن قلبي، ولماذا تتناثر الحمم البركانية في خلايا جسدي، لماذا دموع عيني تتساقط بدون سبب، لماذا يتبختر حولي الموت ولا أموت، لماذا ترغمني الأحلام على مشاهدة الرعب لتفزعني، أشعر أنه حقيقي، أجل يا أمي لم يكن مجرد كابوس عابر، بل هو حقيقي ولكن يتخفَّى وراء ستار الأحلام.

كيف أقنع أمي بهذا، كيف أقنع دموع عيني ألا تسقط مجددًا، كفا أرجوكِ كفا، إن نزولك لم يغير شيئًا لم يخرج العالم من صمته، لم يسمع صوتك أحد، كيف أقنع قلبي ألا يتألم، لماذا تتألم؟ فقدت مَنْ لتتألم أيها القلب المسكين، أدركت الحقيقة دون أن يتحدث أنه يتألم لفقدي أنا، أجل لفراقي أنا، القلب هو صديقك وليس مجرد عضو في جسدك، إنه يتألم لعذابي، فهمت لغته التي تبدو معقدة لمعظم البشر، صرخت من الألم، ولكن بصمت كل خلية في جسدي تطلب النجدة الألم ينهشني، والعذاب يقتلني أين أهرب، حتى في الكابوس لم أجد مكانًا آمنًا أخفي جسدي الضئيل فيه، من هم الذين يريدون قتلي؟ لماذا لا أستسلم في الكابوس وأقف ليقتلوني؟ لماذا أقاوم وأهرب؟ لماذا العالم صامت؟ لماذا لا أحد يشعر بألمي؟ هل حقًا أنا مريضة نفسيًا، أريد أن أنام فقط، يا أمي أتركيني لأنام، أريد أن أهرب من الحياة بالنوم، يا ليت النوم يرأف بحالي ولا يوقظني ثانيةً، يا ليته يحبسني في سجن الزمن، ويمنع عني الكوابيس التي تفزعني.

كانت آمالي بعيدة، استيقظت وأنا أصرخ بفزع، وتأتي أمي لتقول إنه مجرد كابوس اهدئي، أجل أعلم أنه مجرد كابوس، ولكن أفزعني وتبدأ عيني تهدر الدموع، أمي لقد رأيتهم بأشكالهم المرعبة، من هم يا حبيبتي؟ الشياطين يا أمي، كيف رأيتهم؟ تتساءل بفزع، أقبح مما تتصورين، مخيفون يا أمي مخيفون، أمي متى ينتهي هذا؟ أمي متى سأشفى؟ متى يا أمي سأشفى؟ سأكمل بقية حياتي بهذا العذاب؟ تصمت وأرى الحزن قد احتل وجهها البريء، والحيرة تتقاسمه، وتقول بحزن سينتهي قريبًا إن شاء الله، أجل إنها لا تعلم ما بي، ولا أنا كنت أعلم.

كانت تقول إنه مجرد حسد سيذهب حتمًا، الحسد الذي سجن ابنتها الوحيدة خلف قضبان من الفزع، ويسقيها شراب الحزن والهم، ويطعمها العذاب الذي كانت لا تعلم مذاقه إلا عندما جاءت لها طفلة جميلة تقاسمت معها العذاب، ماذا تفعل؟ لا شيء، لا تملك أن تفعل أي شيء، جاءت بورقة وقصّتها على هيئة عروسة، وأمسكت إبرة وبدأت تغمس الإبرة في الورقة وتقول من عين كل حاسد إذا حسد، ومن عين جارتنا زينب، وفجأة صمتت وتساءلت في نفسها: ماذا تفعل؟ ما هذه الحماقات؟ ما هذا الجهل الذي سيطر عليها هي التي كانت لا تؤمن بالخرافات، أصبحت الآن تؤمن بالخرافات!! فجأة رمت الورقة وقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. لماذا استسلمت للجهل، أجل أنا عاجزة عن مساعدة ابنتي، ولمعت في خاطرها فكرة ظنتها هي الملاك المنقذ، أجل غدًا سنذهب لشيخ، وراقت لها الفكرة، أجل هو الحل الأمثل، وذهبت للشيخ أنا وأمي وأخي الأكبر وخالتي.

كان المنزل كبيراً وتوجد به ساحة كبيرة جدًا وحجرات كثيرة. كانت هناك حجرة بجوار مقعدنا وداخلها شيخ يكتب حجاباً للمرضى، فقط يكتب ورقة حمقاء للمريض ليشفي بها، تساءلت في أعماقي: كيف لورقة حمقاء تنهي العذاب؟ ورجل خارج الحجرة يكتب أسماء المرضى الذين سيدخلون عند الشيخ.

قالت خالتي وهي تمازحني تكتبي اسمك يا أشرقت، قلت لها هو الشيخ أحمد؟ قالت لا، ولكن جربي، قلت لا أريد أن أجرب. جلست أنا وأمي وخالتي وأخي ننتظر الشيخ أحمد، قال بعد أذان الظهر سيأتي، قلت لأمي لماذا لا يذهب الشيخ الذي بالحجرة للصلاة؟ ردت خالتي بضحك لماذا يترك هذه الكشوفات لصلاة؟.. كل كشف يأخذ عليه المال.. سيصبح غنيَا بعد فترة قصيرة ما هذا الجهل الذي يتملَّكنا!! ردت أمي بحزن المرض يجعلنا نرى الجهل على أنه المنقذ الوحيد، جاء الشيخ أحمد لتتفتح أبواب الأمل أمام عيني، أصبحت أعد لحظات العذاب التي سأودعها للأبد، سأشفى يا أمي، قالت إن شاء الله، جاء الشيخ أحمد بعدم اكتراث، قال ما بها، قالت أمي مريضة وترى كوابيس، رد بسرعة عوارض، وذهب وهو يقول هناك أشخاص ترى أكثر ثعابين وعقارب، قلت ما معنى عوارض يا أمي؟ ردت بحزن يقصد أنك طبيعية، ولا يوجد شيء، قلت هل رؤية الثعابين والعقارب أكثر وحشية من الشياطين، يا ليتني رأيت العقارب والثعابين ولا أرى الشياطين.

أُجهضَ الأمل قبل مولده، أجل مات الأمل قبل ولادته، الآن سأتعذب بصمت أكثر، لم تعد أمي تصدق أنني أتألم، ولم تعد خالتي تؤمن بألمي، لم يصدقني أحد بعد الآن، دخلت غرفتي وأقفلت الباب وبدأت في نوبة بكاء، وأنا أضع الوسادة فوق رأسي لكي لا يسمعني أحد، سيقولون الآن

إنني أدَّعي الألم، وإنني موهومة، كانت هذه الكلمات تؤلمني أكثر، تمنيت أن يزورني مرض السرطان لكي لا أسمع أنني موهومة وأدَّعي المرض، لا أريد ملامح العطف المرسومة على وجوه من حولي، ولكن أيضًا لا أريد أن أستنشق سم الكلمات، ذهبت لأمي وأنا أعتصر ألمًا وقلت أريد أن أذهب لطبيب نفسي، أجل يا أمي أنا مريضة نفسيًا، قالت لست مريضة نفسيًا، قلت ماذا بي إذن، ألم يقل الشيخ إنني بخير، حتى لم يقل إنني محسودة، قالت تريدين أن تذهبي لطبيب نفسي؟ إن دواءه مثل السم، قلت وليكن أنا أتجرع السم ولا أحد يشعر بي، قالت لا لن تذهبي لطبيب نفسي، سنذهب لشيخ آخر، وإذا لم يفد سنذهب لطبيب نفسي.

كنت خائفة حد الجنون، خائفة من قول "لا يوجد بها شيء"، خائفة من ألا يصدقني أحد بعد قول الشيخ سأتألم لوحدي، سأجهض الأمل من جديد استسلمت لرغبة أمي وجاء خالي وقال هناك شيخ، صديقي ابن أخته ذهب له وعلم بمرضه، قال حسد وأعطى له ورقة يستحم بها وشفاه الله، لنذهب له، قالت أمي بفرح هل شفي؟ قال خالي أجل، قالت لنذهب إليه لعل الله يجعله سببًا لشفاء ابنتي.

ذهبت وأنا أحمل الخوف من قول "ليس بها شيء"، ترعبني هذه الجملة، تجعلني أجهض الأمل من شفائي للأبد، كان الشيخ يمتلك منزلاً صغيراً ضيقًا، وجلسنا بغرفة لا تكاد تسعنا، تساءل الشيخ ما اسم أمها، وعندما قال له خالي اسمها نظر في مرآة كانت على الطاولة أمامه وهو يقول ألم في المعدة، ألم في الظهر، صداع، وتنميل في مواضع جسدك حتى رأسك، انتفاخ القولون، التهاب الأعصاب، بكاء، وضيق في التنفس، وضيق في الصدر، كنت أقول أجل أجل، وتتطاير روحي من الفرحة، لقد علم مرضي وسيكون معه

العلاج، قال الشيخ إنه سحر مقابر، قالت أمي باستغراب سحر؟! قال أجل إنه ثأر مع زوجك، وليس لها ذنب هذه المسكينة، السحر سيعطل قريبًا كليتها عن العمل، ستمرض بفشل كلوي قريبًا، قالت أمي بخوف ما الحل؟ قال ليس عندي حل لن تُشفى ابنتك، لا أستطيع مساعدتها.

كنت أستمع للحديث وأنا أعتصر ألمًا، سألت أمي ثأر مع أبي، كيف؟ قالت جارتنا ليلى زوجي سمع أنها تخون زوجها، وذهب لأهلها وقال لهم أن يحافظوا على ابنتهم وقال لهم ما سمع، وتتطاير الحديث وسمعت أنها تكذب بشدة وتتوعد لنا، قلت ما ذنبي أنا، قالت ذنبك أنك ابنة الرجل الذي تحدث عنها، لماذا يا أبي لا تصمت، لماذا تفوهت بهذا الحديث، أمي أنا أكره أبي، هو سبب مرضي، قالت بحزن لا يا ابنتي إنه ابتلاء من الله يمتحن صبرك في هذه الحياة، قلت بحزن للشيخ لن أشفى باقي حياتي، لا إن شاء الله ستشفين قريبًا، إن الله قادر على شفائك، لا تيأسي.

كانت أمي تمتلك يقين أنني سأشفى، لا أعلم كيف أنزرع في قلبها هذا الأمل، ولكن كانت فقط تطمئنني، كنت أعلم من نظرات عينيها أنها خائفة جزعة، وذهبت لأبي لتقول له لماذا لا تصمت؟ متى تتعلم فن الصمت؟ سمعت صراخها لأبي فعلمت أنها جزعة أكثر مني، ولكن ليس بيدها شيء، كنت في غرفتي أسترق السمع فشعرت بنعاس غلبني وسمعت صوتًا يقول نامت هيا بنا إليها، كان هذا الصوت يخترق أذني كأن الزمن توقف، ومسكت الغطاء لأرفعه على رأسي والأفكار تهاجمني، انهضي انهضي وعيني تنظر للباب المقفول بفزع، وأتمنى أن تأتي أمي لأقفز وأحتضنها بقوة، كيف أنهض إنهم موجودون في غرفتي سأرى أشكالهم بالتأكيد، يكفيني أن أراهم في الكوابيس فقط.

استسلمت للنعاس، وأقنعت نفسي أنها مجرد أوهام، ليس هناك صوت، وكل ما سمعته كان مجرد وهم في رأسي لا أكثر، ولكن بعد خمس دقائق وجدت نفسي محاطة بهالة من الطاقة اللامرئية، لا أستطيع الحركة وجسمي مخدر مشلول عن الحركة، وأسمع صوت "وش" في أذني مفزعًا، وثمة أحد يمسك ذراعي، أردت أن أصرخ، ولكن لا أستطيع، فتحت عيني وأنا أنظر بفزع وجسمي كأنه حجر ثقيل لا أستطيع تحريكه، قلت لا إله إلا الله كانت هذه الكلمة سحر لينفك جسدي لا أعلم كيف امتلكت هذه الشجاعة لأتحدث إليهم، قلت لا أخاف منكم، ماذا تريدون مني؟ تكرهوني لأني مع الله، أجل سأكون مع الله هو خالقي، لن تفزعوني بعد الآن، أنتم مجرد خلق من خلق الله، لا أخاف منكم.

أحسست أن أحدهم أفلت يدي وذهبوا، لا أعلم لماذا لم يردوا عليّ؟ الحمد الله أنهم لم يردوا عليّ، كان قلبي ينفجر من الرعب والخوف، والحمد لله لم أرهم. أتذكر عندما سألني يوسف:

– تتحدثين مع الجن؟

قلت:

– أجل.

قال:

– يرد عليك؟

قلت:

– لا الحمد لله أنه لم يرد عليّ.

صمتَ لأستكمل الحديث وأقول له:

- أنا لا أخاف منهم، إنهم مجرد خلق من خلق الله، ألم يقل لك هذا الشيطان إنني قلت له سآخذ حقي منك يوم الحساب؟ سنقف أمام الله لآخذ كل عذابي منك، ألم يقل لك إنني دعيت الله أن يحرقه كثيراً؟ ألم يقل لك إنني عذبته بالقرآن؟ ألم يقل لك إنني قوية بالله؟ أعلم أنك تسمع صوت شكواه مني فصمت فتره ليقول:

- ولكن أنا أخاف منهم، أرتعب، إنني مختلف عنك يا أشرقت أنا أراهم، أعيش معهم.

لا أعلم كان يقول هذا ليجعلني أخاف، ولكن صممت وقلت:

- لكني لا أخاف منهم.

قال:

- أعلم هذا، أشرقت أنا مثلك لا ذنب لي في هذا، ستعلمين فيما بعد أنني أكثر شخص مظلوم في هذه الحياة.

لا أعلم أهذا كان صوته الحقيقي أم مجرد كلمات ليرمي طعم اصطيادي بالتعاطف؟ ولكن أنت يا يوسف لست مثلي، أنا لم أقرأ كتاباً ولا دخلت في عالمهم، هم دخلوا في عالمي ليجعلوني أمام الناس مجنونة لا أكثر.

عندما قال يوسف لصديقتي فاطمة عن مرضي شعرت أنه الملاك المنقذ، سينقذني من هذا العالم المجهول، تشبثت به كأنه هو الوحيد القادر على إنقاذي، ولكن عندما تفوه بالسر لفاطمة حذرتني، وقالت لا تفعلي شيئًا من هذا، ليس هذا يوسف الذي أحببته، وتسرب الخوف داخلي، كنت أثق في فاطمة ومكة كأنهما أختاي.

**أصعب الأشياء في الحياة هي البدايات، عليها تترتب كل الحماقات اللاحقة.**

**واسيني الأعرج**

# يوسف

إذا سألتني يا صديقي عن الرجل العجوز الذي أعطى لي الكتب سأقول لك إنه اختفى بمجرد تسلُّمي الكتب، لم أشعر أنه ليس إنسانًا إلا بعد حرق الكتاب، رأيت كل ما حجب عني بعد دخولي في بوابة العالم السفلي. تفتحتْ الأبواب المغلقة، الأبواب المجهولة، أو قل يا صديقي إنني أصبحت خارقًا للطبيعة إذ رجعت بذاكرتي لذلك المساء المشؤوم، أخذت يداي تقلبان الكتب والأتربة تتلاصق وتتطاير في الغرفة حتى وقع نظري على كتاب قديم، ورقه كان سميكًا بعض الشيء، وغلافه غريب مكتوب عليه "العلويون والسفليون"، نفضت الغبار عنه ووضعته على المكتب وذهبت لأقفل باب الحجرة خوفًا من أن تراني أمي وأنا أقرأ هذا الكتاب. لا أعلم لماذا فعلت ذلك، ولكني شعرت أنه سر ويجب الاحتفاظ به، فتحت أول فصل اسمه "العلويون" وقرأت عن قتل كل الحشرات والبعوض في الحجرة بدون أي مبيد حشري، وكيفية الذهاب إلى عالم الأموات وأنت على قيد الحياة، ورؤية المستقبل. كل فصل فيه معجزة تمتلكها، قرأت عن قتل الحشرات بعض كلمات غير مفهومة أقولها على

كوب ماء وأرش أركان الحجرة لأري تساقط البعوض أمام عيني ميتًا، كنت في ذهول تام، وترددت كلمات في عقلي إذن رؤية الأموات والمستقبل حقيقة أيضًا، وفتحت فصل الذهاب إلى عالم الأروح وأنا أهيم شوقًا لخوض تلك التجربة، كتبت اسم جدي الذي مات وأنا طفل صغير على ورقة بيضاء، وكتبت أيضًا بعض كلمات كانت توجد في الكتاب مكتوبة.. إذا أردت الذهاب إلى عالم الأرواح اكتب اسم الشخص وتحته هذه الكلمات ثم اقرأها في غرفة مظلمة.

كان الفضول والخوف يكتسحني في آن واحد، مع ذلك فعلت كل ما طلبه الكتاب، لأجد نفسي في عالم آخر، لست في الغرفة، كيف خرجت منها؟ أين أنا؟ هذه تساؤلات شَلَّت عقلي، ما هذا العالم؟ أنا أحلم بالتأكيد!! كان ينتشر في الجو بياض كأن الأكسجين أمتزج بغاز معه ليصنع في الجو بياضًا خافتًا، ورأيت رجلًا يرتدي عباءة جميلة ولباسًا أبيضَ ليمد يديه ليصافحني ويقول: كيف حالك يا يوسف؟ علمت أنك ستأتي لرؤيتي.. كيف حال أمك وأبيك وإخوتك؟ أنا جدك يا يوسف.. قلت بعفوية جدي الذي مات منذ عشر سنوات؟! كيف؟؟ أنا أحلم بالتأكيد!! يوسف إنك لست في حلم.. قل لأبيك إن الأوراق الذي يبحث عنها في مكان سري في حائط البيت في الغرفة ستجدها هناك.. قلت: تقصد أوراق ملكية الأرض؟؟ أجل يا يوسف سأخبرك بمكانها، ولكن لن تراني ستسمع صوتي فقط، لا تقل لأحد إنك قابلتني، أجعل ذلك سرًا بيننا. فجأة وجدت نفسي سقطت فوق أرضية غرفتي، وأنا أتصبب عرقًا ودقات قلبي تعلو.

ذهبت لأمي وأنا أقول: معك صورة لجدي؟؟ قالت بذهول: لماذا؟؟ قلت: رأيته في منامي يا أمي، وأريد أن أتحقق من ملامحه، فتحتْ أمي الدولاب

لتخرج علبة فيها صورة صغيرة لجدي، يبدو كأنه في عمر يقارب الستين، شعره يكسوه البياض، وأنا أنظر مذهولًا وأقول إنه هذا الرجل الذي قابلته، ولكن كان أصغر سنًا، قالت: كيف قابلته؟ أقصد رأيته في منامي، جدي أخبرني على مكان الأوراق ملكية الأرض، قالت أمي بذهول وتعجب: ماذا؟! قلت أجل أخبرني، وتركتها مذهولة وذهبت للغرفة وسمعت صوتًا يقول: أجل يا يوسف في هذا الحائط أخرج هذا القالب وستجد مكانًا سريًا فيه الأوراق، أنا جدك، لا تخف ستسمع صوتي فقط.

أخرجت قالب الطوب ووضعت يدي لأجد الأوراق، فأخرجتها وأنا مذهولٌ، لأرى أمي تقف بجوار باب الغرفة وتنظر لي بذهول وتقول سأتصل بأبيك، سيفرح لأننا وجدنا الأوراق، لقد بحث عنها كثيراً، سبحان الله، أخيراً وجدناها.

احتلت الفرحة البيت وعلت الضحكات وجهي أبي وأمي، أما أنا فكنت في ذهول وخوف تامين، والفضول يدق أسوار عقلي لأجد نفسي أدخل غرفتي وأقفل الباب، وأمسك الكتاب لأقرأ فصل رؤية المستقبل. قرأت بعض الكلمات الغريبة غير المفهومة وأغمضت عيني كما أمرني الكتاب لأشاهد شاباً يحدِّث صاحبه ويقول إنه يريد أن يخطب أختي وسيطلبها من أبي بعد صلاة الجمعة، وبعد يومين تحدَّث بعد صلاة الجمعة مع أبي وطلبها منه حقيقةً كما رأيت، وأنا أقف بجوار أبي وأنظر مندهشًا.

لا أعلم ماذا يحدث ولكن تسلل الفرح داخلي، ليس لخطبة أختي، ولكن لأنني رأيت المستقبل بالفعل، أحسست أنني المنتصر في هذه المعركة، لا أعلم أي معركة كنت أخوضها، ولكن أحسست بشعور رائع جعلني

أذهب لغرفتي وأقرأ باقي الكتاب، لقد انتهيت من قراءة جزء العلويين، وسأبدأ في جزء السفليين من الكتاب.

يقول الكتاب إن ملوك العلويين ساعدتني في القوة الخارقة التي امتلكتها، كان الفضول يتبعثر في دمي.. من هم الملوك السفليين؟ وكيف سيساعدونني، وما هي القوة الخارقة التي سأمتلكها منهم؟ كنت أقرأ كلامًا غريبًا لا أعلم ما هي لغته الأصلية، ولكن كانت هناك كلمة "ملك الجان" مكتوبة، وبعدها كلمات غريبة قرأتها بصوت عالٍ لأستطيع فهمها، ولكن لم تجد نفعًا.

تابعت القراءة بصوت مسموع.. فجأة حصل شيء لم أتوقعه؛ ظهر دخان أسود يزداد ويتحرك بدوامات، وأنا أنظر بدون وعي والخوف والرعب يبتلعانني، فجأة ظهر رجل وامرأه بأشكال مرعبة لم أتذكر ملاحمهما ولكن يا صديقي أقسم لك إذا لم يزرك الرعب فيكفي أن تلقي عليهما نظرة صغيرة ليتمكن منك الرعب بقية حياتك، أبشع ما رأت عيناي، لم أستطع النظر وأغشي عليّ لفترة من الزمن لأجد أمي تدق باب حجرتي وتقول: يوسف أنت نائم؟ عندما فتحت عيني وجدت كل شيء قد رجع لأصله.. لم أر هذين المرعبين، وأريت الكتاب مقفلاً فوق المكتب، شعرت براحة أن موضوع العفاريت انتهى.

قمت وأنا أقول الحمد لله، لن أقرأ في هذا الكتاب ثانيةً، ولكني اتخذت هذا القرار بعد فوات الأوان، يا ليتني لم أقرأ منذ البداية، قالت فاطمة: لماذا تقول هذا يا يوسف؟؟ ماذا حصل معك؟؟ قلت: سأحكي لك يا فاطمة لا تستعجلي، ولكن إذا أكملت بقية القصة ستتركينني؟ قالت بثقة: مستحيل أن أتركك.. قلت: سنرى.. قالت: أكمل يا يوسف.

عندما استيقظت ورأيت الكتاب الذي كنت أمسكه بيدي فوق المكتب مغلقًا تمنيت أن يكون الذي رأيته حلمًا، ولكني كنت متأكدًا أنه ليس حلمًا، فقمت وأسرعت لفتح باب حجرتي، أحسست بخوف يتملَّكني، سمعت أبي يحدِّث أمي ويقول إنه يحتاج مبلغًا كبيراً من المال بشدة، قالت أمي: كيف سنحصل على المال؟ قال أبي: أفكر أن أبيع جزءًا من الأرض.. قالت أمي: خسارة أن تبيع الأرض، إنها أرض أجدادك.

لم أهتم بكلام أبي وأمي وذهبت لغرفتي من شدة التعب. إن المنظر الذي رأيته أرهقني من شدة الخوف. أغمضت عيني وفجأة سمعت صوتًا يقول: المبلغ المطلوب تحت الوسادة، فجأة انتفضت ونظرت تحت الوسادة لأرى مالاً كثيراً، لم أهتم بكم المال، ولكني ذهبت لأبي وأعطيته له وقلت: سد دينك يا أبي، نظر لي مندهشًا، وقال: من أين أتيت به؟ صمتُ لأجد يده تضرب تلقائيًا خدي فوقعت من شدة اللطمة، قالت أمي بصوت عالٍ: كفى، ابني لا يسرق، أنا أعرفه أكثر من نفسي، رد يا يوسف من أين أتيت بالمال؟ قلت: اقترضته من صديق لي غني.

أعلم أن أبي لم يقتنع وأمي كذلك، ولكن أمي نظرت لأبي ترجوه أن يتوقف عن ضربي ليجدا حلًا آخر، فقال أبي كأنه اقتنع برأيها، آسف يا بُني، اذهب لحجرتك الآن، كنت أشعر أن هناك حركة في حجرتي، كنت أريد أن أخبر أمي، ولكن كيف أخبرها؟ ستذهب بي إلى دكتور نفسي بالتأكيد، التزمت الصمت وأنا أنظر للكتاب بخوف ورعب، أريد أن أفتحه وأنهي كل الذي يحصل معي ولكن كيف؟ كيف أنهي الحركة التي أشعر بها في غرفتي؟

وأنا أنظر للكتاب فجأة ارتفع عن سطح المكتب وهبّت فيه النار، وبدأ يحترق.. حاولت أن أقف لأنقذ ما تبقى منه، ولكني شعرت بأن هناك

أحدًا يمسك بي، وصوتًا يقول: لا تتحرك، اجلس مكانك. يا للمصيبة إنني أحضرت روحًا من الجن كما يبدو، لا..لا.. إنهما روحان، إنني رأيتهما اثنين، ولا أعرف كيفية صرفهما، والكتاب احترق الآن، إنني في أسوأ لحظات حياتي، كنت مشتتًا وخائفًا، ولا أعلم كم عمق المصيبة التي أوقعت نفسي فيها.

وأنا أفكر كيف أخرج من هذه الكارثة فجأة أظلمت الغرفة، ووجدت أنني أقف في مكان غريب يضيء باللون الأحمر، وثمة رجل يضع فوق رأسه تاجًا ذهبيًا، ويجلس على كرسي ضخم، ويقول: أهلًا بك يا يوسف في عالمنا.. إنني تشكلت بهيئة رجل من الإنس لكي لا تخاف مني، فأنا ملك الجان في العالم السفلي، يا أبانوخ أكرم ضيفنا.

أتى بأجمل الأطعمة والفواكه، اجتمعت الغيوم لتغرقني بالنعم، والنجوم لتضيء حياتي، لقد وجدت نفسي في الجنة!! كيف لا تكون الجنة وبها كل شيء، ولكن الحقيقة أنني ألقيت نفسي في جهنم بعينها، كان طعمًا لي وأنا ابتلعته، أجل أكلت أجمل الأطعمة والفواكه التي لم أر مثلها في حياتي، ونمت في غرفة بها نقوش غريبة مطعَّمة بالذهب، كانت أجمل ما رأت عيناي!! لا أعلم كم قضيت في هذه الجنة، أظن أسبوعًا عندما أمرني ملك الجان بأن أتزوج ابنته، فرفضت كيف أتزوج جنية؟؟ هذا جنون!! بالفعل قلت: لا أريد أن أتزوج، قال بغضب: إنك لا تعي معنى الكلمات التي تخرج من شفتيك، ولا تعرف ما هي عواقبها.. فَكِّر في أهلك يا يوسف، ألا تخاف عليهم؟ ولكن إذا وافقت ستمتلك القوة الهائلة التي لا يستطيع أي إنسان أن يمتلكها، سأعطي لك مهلة أسبوع، وأنتظر ردك في هذا المكان.

فجأة وجدت نفسي في الغرفة، وأمي تفتح الباب وتقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!!.. كيف دخلت البيت؟! وأين كنت؟ لقد بحثنا عنك، وأبوك أخبر الشرطة أنك اختطفت. قمت من رقدتي وأنا أقول لها: أمي لا تخافي عليّ، أنا بخير، فقالت بصوت يشبه الرعد من شدة علوّه: بخير؟!! لقد بحثنا عنك أسبوعًا كاملًا، وأبوك كاد يفقد عقله، وتقول بخير، كيف دخلت إلى غرفتك؟ قل الحقيقة، صمتُ وخرجتْ وهي غاضبة.

في اليوم التالي أحضر أبي ثلاثة شيوخ، سمعت صوتًا خافتًا في أذني يقول: أنا أبانوخ، أخبر هؤلاء الرجال أن يتركوا هذا المكان في الحال، وأنك غير مسئول عما سيحصل معهم. قلت ما أمرني به، وفجأة اختفوا من أمام عين أبي وأمي، ولا أعلم أين ذهبوا حتى الآن يا فاطمة، وأظن أنهم سجنوا في سجن لا أحد يعلم به، وأبي أخذني لقس الكنيسة، بعد أن سمع أنه قوي في أمور الجن، وأنه عالج أشخاصًا كانوا ملبوسين.

بدأ القس يقرأ، وسمعت صوت انفجار في الكنيسة وحريق هائل شب بها، ظنوا أن هناك إرهابيًا وراء الانفجار، ولكن القس قال: اخرج من هنا الآن، إن ابنك ذهب، ولن يعود، لا تبحث عنه. لم يفهم أبي هذه الكلمات ولا حتى أنا، خرج وهو يقول: يا رب ماذا يحصل مع ابني؟ إنني عاجز، قلت لأبي: لا تخف.. إنني بخير.

كانت الدنيا تظلم في عين أبي وتضيء لي، دخلت حجرتي ليزورني القمر، رأيت فتاة جميلة جدًا، كان شعرها مثل سواد الليل، وعيناها مثل زرقة السماء، قالت كلمات لم أكد أسمعها من شدة جمالها.. سمعت أنك رفضت الزواج بي يا يوسف، ألا تعلم أنني أحبك، وأنني قد تألمت عندما قلت لأبي لا؟

لم أنتبه لما قالته، ولكني انتبهت عندما أوقفت شفتيها عن الحديث، لأجد قلبي قد توقف معها، قلت لها: ما اسمك أيتها الحورية، قالت: سمية، قلت لها: أنت مسلمة؟ قالت: نعم يا يوسف أنا مسلمة، لماذا لا توافق على الزواج بي؟ قلت لها: من قال لك إنني لست موافقًا؟ إنك أجمل ما رأت عيناي، قالت: سأخبر أبي أنك وافقت ليتمم زواجنا.

لقد سحرت بها يا فاطمة، ولم أكن أعلم أنني كنت ضحية عالمهم، لقد سيطروا عليّ وسلبوا إرادتي، أجل كنت الضحية، تزوجنا وكنت أذهب لعالمهم، وكان ملك الجان يبعث شبيهًا لي في غرفتي ليتصرف مثلي ويتحدث مثلي، لم تشك أمي في ذلك، وكنت سعيدًا جدًا.

علمت كل شيء عنهم وعن عالمهم، وبدأت تظهر سمية بشكلها الحقيقي المرعب، كنت أخاف منها كثيرًا، ولكني لم أتفوه بكلمة، لقد كنت أتعس رجل في الدنيا يا فاطمة، حاولت أن أتخلص من هذا الكابوس المزعج، وبدأت أقرأ في القرآن وحفظت جزءًا منه، ولكن في لحظات ضعفي لم أستطع الاستمرار، كنت معهم كدمية تنفذ كل طموحاتهم في عالم البشر، وتفتك وتدمر طموحاتي أنا.

في يوم قالت لي سمية إنها ستهديني هدية لأنني أساعدهم، كنت غارقًا في بحار ألمي وحزني العميق، كانت الهدية أنتِ يا فاطمة، ظهرت لي صورة فتاة محجبة، لا أعلم لماذا وافقتُ لتدخلي معنا في هذه اللعبة اللعينة؟ قالت: ستحدثك هي، وبالفعل حدث ما قالت، بدأت قصتنا التي بدت مصادفة بالنسبة لك، ولكنها لم تكن صدفة يا فاطمة، لقد كنت أعلم كل شيء عنك، حتى صورتك قبل رؤيتك، وعندما قابلتك ومددت يدي

لأصافحك، حينها لم يكن قلبي صافيًا وبريئًا، بل كنت كذئب يفترس فريسته.

صافحتك لاخترقك ولتتعري أمامي بكل ماضيك، وأصبحت أنا المتحكم وأنتِ الدمية، لم أكن وقتها أحبك، ولكني أصبحت أبدل أفكارك من نقطة الاختراق التي اخترقتك من خلالها وكانت في شريان يدك.. عندما قابلتِ أول مرة أشرقت لتتعرفي عليها علمت أنها مصابة وبها سحر، ولكني وقتها لم أجرؤ أن أتحدث، وعندما هربت مني الكلمات لتركع أمامك، وكاد قلبي ينفجر بحبك، حينها اعترفت لكِ بكل شيء لكي لا أخدع المرأة التي تسكن قلبي، وقلت أنا متزوج بنت ملك الجان يا فاطمة، قلتِ ببراءة: أنت تمازحني يا يوسف؟ قلت: لا والله العظيم، أنا متزوج بنت ملك الجان، قلتِ بانفعال: اصمت.. لا تتحدث، أرجوك لا تقتل قلبي، قلت: أنا حقًا آسف، سامحيني، لم أستطع أن أبني حياتي على غش منذ البداية، قلتِ والدموع تنهمر من عينيك: لا تستطيع أن تبني حياتك على غش.. انتظرت أربعة أعوام لتصارحني بهذا؟!.

صمت لم أقدر على الحديث، وقلت: لم يُؤذن لي أن أحدثك يا فاطمة، هم من اختاروك لي، قالت: من هم يا يوسف؟ قلت: زوجتي سمية وعائلتها، قالت والكلام يقتل قلبها: كنت لعبة في يدك ويدهم.. لماذا أنا؟ لماذا اختاروني؟ قلت: لا أعلم، ولكن أنا أحببتك بصدق صدقيني، لقد أصبحتِ النور الذي أرى به، قالت بانفعال: أصمت.. أرجوك أصمت، فمن المستحيل أن أتزوج رجلًا متزوجًا من جنية، هذا جنون بالفعل، قرأت أفكارك وأنت تتمنين أن أقول "هذا افتراء، إنه كذب"، ولكني لم أستطع قول هذا، كنت في الأربعة أعوام الماضية كأني أحمل جبلًا على قلبي،

أحببت أن أزيح هذا الجبل من فوق قلبي، لم أتمن أن أفقدك، حتى فقدك ولم يكن هذا من اختياري، فهم من أرغموني على فقدك، عندما قلت: لا أريد أن أتزوج برجل متزوج جنية، قالت سمية، سأؤذيها هي وعائلتها إذا اقتربت منك، قلت لك: انتهت اللعبة بموتك يا فاطمة، أخرجي من عالمي اللعين.

تحدثت مع مكة وأشرقت وقلت لهما يجب أن تخرج فاطمة من حياتي، وأن عليهما أن يساعداها في هذا، وقلت لأشرقت أن تفعل كل ما أمرتها به لتتخلص من السحر للأبد، وتكمل حياتها، وأنها مثل أختي هي ومكة، وأني في جهنم، ولا أريد لفاطمة أن تحترق معي، يجب أن تخرج من هذه اللعبة اللعينة، فلا ذنب لها كي تدخلها، ولم أكن أعلم أنها قدري، وأنني لن أستطيع أن أتنفس بدونها.

**كم أتمنى أن أعيش عزائي وأنساك دفعة واحدة، ولكنني كلما حاولت أخفقت وازدادت وحدتي التصاقًا بك.**

**واسيني الأعرج**

# فاطمة

اعترفت!! اعترفت يا يوسف بقتل قلبي!! بتحطيم أحلامي!! أيعقل أن أكون أحببت دجالًا؟ دجالًا يا يوسف!! كان قلبي يحتضر وعيناي تذرفان الدموع، وتساؤلات تلسع قلبي لتحرقه، أيعقل أن تكون متزوجًا من جنية؟!! وتتطاير دموع عيني الخائفة، أجل يا يوسف بدأت أخاف منك، إنك متزوج، أيعقل أن أصدق أن الرجل الذي أحببته متزوج الآن؟ متزوج من قبل أن يعرفني!! أفسر قسوة بعدك وهجرك لي بأنك كنت معها، قلت لك ببراءة الأطفال: أتمنى أن أكون متدينة وقريبة من الله لندخل الجنة معًا، صدمني ردك عندما قلت: أخاف أن تقتربي من الله وتطردديني من قلبك، أكنت الشيطان الذي يهرب من الإيمان؟ من أنت يا يوسف؟
أتذكر عندما حلمت أنني في سجن، وقصصت عليك هذا الكابوس، وتحدثت بقسوة: أنتِ هكذا يا حبيبتي تريدين أن تكوني مسجونة بحبي، كانت كلماتك تجرحني، تقتلني، عندما اعترفت لي أنك اخترقتني وأنك تغير تفكيري وتتحكم في قراراتي وتجعلني أحدثك عندما تريد، مرت سنوات عمري أمامي كأنها قطار من النار يحرق قلبي، أيمكن أن يكون

قلبي قد انتحر بعد هذا السر الذي تفوهت به، ولم يؤلمني ثانيةً، أم أن هذا السر الذي قلته هو بداية تعذيب قلبي؟ أخترت طريق جهنم بإرادتي ولم أعي هذا.

خرجت من المنزل لأري السماء ملبدة بغيومها السوداء لتقذفها عليّ، نعم أشرقت ومكة هما الحل، ذهبت إليهما وأنا متعبة، متعبة جدًا، متعبة من كل شيء، الحب الذي كنت أؤمن به يومًا ما، كان بالنسبة لي السعادة في باطنها العذاب، دخلت سكن الطالبات حيث توجد أشرقت ومكة، وقلت لهما: كنت أعيش في وهم.. وهمٌ يا أشرقت، وهمٌ كبير يا مكة.. يوسف دجّال، إنه دجّال، حكيت لهما وقلبي ينزف وجعًا. أشرقت.. مكة، أنتما صديقتاي، وأنا أتألم، قلبي يؤلمني.. يوسف أصبح دجالًا.. ما هذا الكابوس يا رباه!!

قالت مكة: أيعقل أن يكون يوسف هكذا دجالًا؟! متزوج من جنية، كيف؟ لو أن أحدًا غيره قال هذا الحديث ما صدقته، حتمًا سأقول هذا هراء.. أيعقل أن يكون هناك زواج بين الإنس والجن؟.. قالت أشرقت: هذه أول مرة أسمع فيها أن أحدًا من الإنس تزوج جنية!!

قلت لهما: كفا أرجوكما كفا.. أريد حلًا.. أنا سجينة بحب يوسف، أنا أرى دومًا هذا الكابوس، إنني في سجن، وشهقت من تذكر الحلم، كنت دائمًا أرى أشكالًا مرعبة تحبسني، ويوسف يقف خارج السجن وينظر لي، أيعقل أن يكون هو سبب سجني، يوسف لم يتركني، أنا أعرفه جيدًا، هو أخبرني أنه يراني وقتما يريد، أشعر أنهم يراقبونني.. رباه ما الحل؟ لقد رآنا يا أشرقت عندما تعرفت عليك، إنه يرانا عن بعد، وأيضًا رآنا يا مكة عندما تحدثنا معًا، حدثني وكأنه كان معنا في جلستنا.. ما الحل؟ قالت

مكة: يوجد شيخ اسمه "الشيخ حسين"، ومع أني لا أؤمن بالشيوخ ولكن يمكنكما أن تذهبا إليه، قلت: أجل يا مكة هذا هو الحل، سنذهب إليه غدًا وسأقص عليه قصتي، قالت أشرقت: أما أنا سأذهب معكما، ولكن سأفعل ما أمرني به يوسف، أشعر أنه يريد أن يساعدني، قلت لأشرقت: إنه دجال.. كيف تصدقي كلام يوسف؟ لا تفعلي أرجوك، إنه يخدعنا.. لقد خدعني طيلة أربعة أعوام، إنه مخادع يا أشرقت، لا تفعلي شيئًا.

في اليوم التالي ذهبنا نحن الثلاثة وأخذنا زميلنا عمار معنا، كنت اعتبره أخًا لي، كان قلبي مقتولًا، لا أحد يعلم بوجع قلبي، كان ينزف حبًا ووجعًا وألمًا وشوقًا، يوسف إنك جعلت قلبي ينتحر، يموت في صمت بدون صراخ أو عويل.. كنا ننتظر الشيخ حسين، وكانت اللحظات خناجر تصوب نحو قلبي. جاء شاب لم يتجاوز عمره الخمسة وعشرين عامًا، قال: أهلاً بكم، فاطمة أليس كذلك؟ رد عمار بتعجب: كيف عرفت اسمها؟!!

صمت وارتسمتْ ابتسامة دليل الانتصار، وقال أنتِ هنا لرصد منزلكم أليس كذلك؟ قلت بذهول: أجل، قال الشيخ والدهشة ترتسم على وجه: أرى منظرًا عظيمًا، أرى قصرًا مطعمًا بالذهب، وعليه نقوش فرعونية، هذا المنظر تحت منزلكم يا فاطمة، والرصد يحرس هذه المقبرة الفرعونية العظيمة، أظن أنها مقبرة ملك من ملوك الفراعنة، إذا فكرتِ في استخراج هذا الكنز العظيم سأتولى أمره، وسآخذ حصتي في هذا الكنز، قلت بصوت متعب: أحدهم قال لي ستفقدين شخصًا من عائلتك إذا فكرتِ في استخراج الكنز، سيموت أحد منا، ولم أذكر أنك الذي قلت لي هذا.. لا أعلم، كنت أتجاهل اسمك عمدًا، أو لأن قلبي يؤلمني عندما أنطقه. قال بصرامة: أجل هذا صحيح، في المقابل ستمتلكون كنزًا عظيمًا. قلت بفزع:

لا، لا أريد، جئت لأن الرصد أتعبنا، دومًا نحن في هموم وأحزان، وأمي مريضة وأخوتي يشكون ضيقًا، وأنا متعبة أريد أن يخرج هذا الرصد من منزلنا. قال بصرامة: لا لن يخرج، هو يحرس هذه المقبرة، ولن يخرج إلا بموته، الحل أن تخرجوا أنتم. قلت بصوت متعب: ألا يوجد حل غير خروجنا من منزلنا؟ قال الشيخ: أجل، لا يوجد.

هربت مني دمعة وأنا أقول: وأيضًا كنت أحب شخصًا اسمه يوسف قال لي إنه متزوج من بنت ملك الجان، وهي من اختارتني له، وهو يتحكم بي ويغير تفكيري ويبدل مشاعري. قال الشيخ بجدية وصرامة: إنه الشيطان. ردت أشرقت لتسبقني في تعجب وخوف: شيطان!!.. كيف؟؟ أتقصد شيطانًا شيطانًا؟؟ قال الشيخ: نعم شيطان من شياطين الإنس، أشرقت أنت مطلسمة.

قالت بذهول: كيف؟؟

رد الشيخ: إنه سحر قديم، وأنتِ قرأت قرآنًا كثيراً أليس كذلك؟

قالت أشرقت: نعم، ولكن القرآن يشفي ولا يطلسم.

رد الشيخ: لا، إنه أذاك لأنك مسحورة، وكثرة القرآن مع إنسان مصاب مثلك يطلسمه، ألا تعلمي أن كل حرف في القرآن فيه جنود، وأن كثرة القراءة تضرك؟

ردت أشرقت: أنا الآن تحسنت كثيراً عما قبل لأني قرأت القرآن كثيراً، وإذا كان برأيك أني مطلسمة فليكن، لا يهمني ما دمت بخير.

قالت مكة: القرآن يشفينا، ولا يضرنا، ماذا تقول يا شيخ؟

قال الشيخ فجأة وهو ينظر لي: فاطمة ابتعدي عن يوسف، إنه أذاك.

رددت بيأس: أريد أن أبعد، ولكن كيف فهو المتحكم بي، ويجعلني أحدثه عندما يريد؟ ولكن لماذا اختارتني زوجته لتقحمني في حياته؟ أكنت لعبة سهلة الكسر لتدخلني عندما تريد وتكسرني وترمي بي من حياته عندما تريد هي أيضًا؟ كم أنا ضعيفة بالنسبة لها ولهذه الدرجة!! لماذا اختارتني؟
قال الشيخ: أظن لأنك طيبة وطيبتك النادرة ستدخلك الجنة، هم أرادوا انتشالك من الجنة، هي لعبة يا فاطمة كما فعل إبليس مع سيدنا آدم، استغل طيبته ليقذف به بعيدًا عن الجنة، سأرقيك لأجعله لا يراك.. اقتربي.
اقتربت من الشيخ وأنا مطمئنة لكلامه، لقد أدخل في كلماته المزيفة الجنة، شعرت كأنه حبل نجاتي، كأنه منقذي، ووضع يده فوق رأسي وقرّب فمه بجوار أذني وقال كلامًا لا أفهمه كأن الكلام طلاسم أو كأنه يحضِّر جنًا عليّ، أحسست أنه سيَغشى عليّ، فجأة تملَّكني صداع غريب ودوار كأني أخذت منومًا فتصلب جسدي، لا أستطيع تحريكه، أحسست بخوف شديد، قلت بصوت لا يسمعه أحد: يوسف أنت سبب هذا، أنت سبب تعبي، حاولت تحريك شفتي لأقول بصوت مخنوق خائف: أشرقت اقتربي بجانبي، فجأة أمسك الشيخ بيدي كأنه يريد الاتصال بي كما فعل يوسف عندما سلَّم عليّ، اقترب الشيخ من أذني أكثر.. وقلت بصوت مفزوع وخائف: توقف، توقف.
قال الشيخ: ألا تريدين أن أحجبك عن يوسف؟
قلت: أريد، ولكن بطريقة غير الرقية هذه.
أعطى لي ورقة مكتوباً عليها طلاسم، أجل طلاسم وليس قرآن، وقال ضعي الورقة على الماء وأشربي منه..

خرجنا من منزله وأنا متعبة، متعبة من كل شيء، كانت روحي تنتحب، تبكي ألمًا وخوفًا، وقلبي ينزف فزعًا، وقلت في نفسي: إنه ساحر، ليس شيخًا يا الله، إنني الآن قد كفرت، لن تُقبل صلاتي أربعين يومًا.. كاد عقلي ينفجر وقلبي يعتصر ألمًا، إنني صائمة، وذهبت لساحر وأمسك بيدي وأنا صائمة، وقال لي طلاسم، يا للمصيبة التي ألقيت نفسي بها.. أألوم نفسي، أم ألومك أنت يا يوسف، أنت سبب ذهابي إلى هذا الساحر، إنني أكرهك، لقد وضعتني في كهف معتم داخل نفسي، لأتخبط في آلامي.. قلت بصوت عالٍ: أستغفر الله، أشرقت.. مكة.. عمار لن أذهب إلى هذا الساحر ثانيةً، وسأحاول أن أتوب لعل الله يغفر ذنوبنا.. أشرقت أرأيت كيف أمسك الساحر بيدي؟ يريد أن يتصل بي كما فعل يوسف.. مكة أرأيت كيف يتلو عليّ الطلاسم؟

لم تصدق يا يوسف أنني بعد كل هذا العذاب أشتاق إليك، أريد أن أستيقظ من هذا الكابوس المفزع، لأري أنك رجعت كما كنت، كم كانت أحلامي طفولية.. معك أرتضي بالقليل.. كلمة حبيبتي تكفيني، تسعدني عندما أسمعها منك، كنت دائمًا تغضب لأتفه الأسباب، وتعاقبني بهجرك لي شهورًا أتجرع خلالها سم اشتياقك، ولكني لم أمت.

أتذكر عندما حدثتني أختك على الهاتف لتقول أنتِ فاطمة التي يحبها أخي يوسف أخذت رقمك بدون معرفته، كاد يقتلني الفضول لمعرفتك، كنت أحدثها لأستنشق عطر روحك منها، لأتنفس لهيب حبك منها، كانت تحدثني كأنك تحبني بدرجة عشق، وكنت أسرق بعض الكلمات منها لأثبت لعقلي أنك تحبي، أكنت أحتاج إلى أثبات يا يوسف بأنك تحبني، وعندما علمت أنني تحدثت مع أختك غضبت مني وهجرتني ثلاثة أشهر،

أتساءل في نفسي كثيراً: أكنت معها؟ أتراني أغار من جنية ليست من البشر؟ ما هذا الجنون الذي وضعتني فيه؟ أقسم لك كاد اشتياقي ليغلبني وأحدثك وأقول لك آسفة على غضبي ولكن لا تتركني، ولكن كان تهديد زوجتك الجنية بتدمير عائلتي يقف سدًا منيعًا أمامي لأتراجع وأقتل الاشتياق، كنت دائمًا منهارة من البكاء، لتضع أشرقت تسجيلًا بسورة "ق" أمام أذني لتهدئني، ولم تكن تعرف أنها تنشطك في داخلي، سورة "ق" التي قلت لي إنك تحبها، والتي كنت دومًا تقرأها لي بصوتك، أكانت رسالة منك أيضًا لتذكرني بك؟ ومتى نسيتك لتذكرني بك؟

في يومٍ معتم ومع روحٍ أتعبها هجرك وقتلها اشتياقك كنت أبحث عن خيط في بقايا ذاكرتي ليوصلني بك ثانية، لماذا لا أرضخ إلى نسيانك؟ لماذا أشعر أن نسيانك خيانة في حد ذاتها؟ وكيف أنساك وأنت تعيش في خلايا جسدي؟. فاجأتني رسالة لتنتشلني منك، كانت من شيخ اسمه "الشيخ محمود" يحفِّظ القرآن للطلاب في مدرسة أختي، مدحته أختي أمامي لتقول في عجب: إنه يحفظ القرآن بسبع روايات!! كم هذا عظيم!! لا أعلم لماذا بعث لي رسالة؟ أتكون أختي عرتني أمامه لتقص حكايتي له، كنت مشتتة ولا أعلم أأرد عليه أم أتصل بأختي أسألها؟ شعرت بالأمل يدب في قلبي وكتبت تلقائيًا: وعليكم السلام، أريد أن آأخذ رأيك في موضوع مهم، لا أعلم لماذا تفوهت بالحديث، حكيت له حكايتي كلها بالرصد الذي أتعبنا، وسردت له حكايتي مع يوسف الذي خزلني. قال لي: سأتصل بك بعد ساعة، قلت بعفوية: لماذا؟ قال: أنا أمتلك بصيرة، هذه البصيرة تأتي لي في منامي، وأحيانًا في يقظتي، وأعلم كل شيء، مثل سيدنا عمر، قلت له سأنتظر ردك يا شيخ محمود لتخبرني ماذا أفعل.

اتصل الشيخ محمود بعد ساعة فعلًا وقال: أنتم ثلاث فتيات، لا أعلم هل أنتن أخوات أم صديقات، ولكن توجد فتاة منكم مسحورة منذ الصغر، هذه الفتاة تعذبت كثيراً، رددتُ بتلقائية: تقصد أشرقت؟ رد الشيخ: اسمها أشرقت، إنها فتاة قوية جدًا، حاربت سحرها بالقرآن كثيراً، أعطِها رقم هاتفي لتحدثني بسرعة، أريد أن أساعدها.. لا تقلقي يا فاطمة، فموضوعك أنتِ سهل.

أنهيت الكلام مع الشيخ محمود واتصلت بأشرقت، أجابت بصوت حزين: أهلًا فاطمة، كيف حالك؟

قلت: أهلاً أشرقت.. الحمد لله، تحدثت مع الشيخ محمود.

قاطعتني أشرقت لتقول: فاطمة يكفي مشايخ، حالتي ساءت أكثر بالشيخ الذي ذهبنا إليه واكتشفنا أنه ساحر، لقد نشَّط السحر داخلي بعدما تغلبت عليه.

قلت: أبشري يا أشرقت، اجعليني أكمل الحديث فقط، أولًا الشيخ محمود شيخ يحفظ كتاب الله بسبع روايات، ويمتلك بصيرة مثل سيدنا عمر، وهو أخبرني أنك تعاني منذ الصغر، وأنك قوية وحاربت السحر بكل جدارة، وهو يريد أن يساعدك، وقال لي إن موضوعي مع يوسف سهل، كما أنه طلب أن تتصلي به.

أجابت أشرقت ونبرة الأمل تحتل صوتها: أعطني رقم هاتفه، كم الله رحيم.. لقد فقدت الأمل، وكنت أتخبط في يأسي، سأتصل به إن شاء الله.

أقفلت الهاتف مع أشرقت وتذكرتك يا يوسف، كيف صفعتني دون أن أدري، صفعت قلبي ببوحك المر، أشعر بمرارته في خلايا جسدي، سممت روحي يا يوسف، كنت عطشانة إليك، أنطق اسمك لأستنشق رائحتك

منه، أنظر في المرآة وأنا أبحث عن ملامحك في صورتي، جميلة هي الحياة بك وقبيحة بدونك، كم أصبحت مجنونة!! ما زلت أحبك بعد كل هذا العذاب الذي أتذوق مرارته!! ما هذا الحب الأبله الذي يترنح في خلايا قلبي؟!!

لقد قلت لي بخبث ذات يوم: توجد امرأة تغار منك.

وقلت ببراءة الأطفال: لماذا تغار مني؟

قلت: لأنني أحبك.

لم أكن أعلم أنها زوجتك من الجان، كان الغباء يتملكني حينذاك فأبتسم لكلمة أحبك، وأنسى ذكر تلك المرأة التي تغار مني، عندما أتذكر ذلك اليوم أتساءل: لماذا تغار مني ومن حبك؟ حبك بالنسبة لي لعنة وليس نعمة، تغار من فتاة غبية مثلي وهي بنت ملك الجان.

أتذكر عندما كنت تتحدث بغرور وأقول لك: أنت تشعرني أنك رئيس الجمهورية، لتقول لي بخبث: عرضوا عليّ ولاية أحكمها يا حبيبتي ولكني رفضت، الآن علمت لماذا كان ينزرع في قلبك الغرور، كنت أمامك فتاة تتجرد من العقل ولم أفكر يومًا، ولا أخفي عليك ما كنت أفكر يومًا فيما قلته لي، أو في سرك الخطير. كيف أفكر أنك متزوج من بنت ملك الجان؟ لم أندم يومًا أنني حذَّرت أشرقت منك وجعلتها لا تُفعِّل برنامجك، كيف تسمع كلامك يا يوسف بعدما أصبحت دجالًا؟؟ أريد أن أقتلك في داخلي، وأن أقتل كل ذكرياتك في خلايا عقلي.

**ما هي الكلمات التي لم تبح بها بعد؟**

**ما الذي تحتاج إلى قوله؟**

**ما هي جرعات الظلم التي تتجرعها يومًا بعد يوم،**

**وتجعلها جزءًا من ذاتك بنفسك، ثم تمرض وتموت**

**بسببها، وأنت لا تزال صامتًا؟**

**أودري لورد**

# أشرقت

رأيت يوسف تحيطه قضبان حديدية، والغرفة كانت مليئة بالسواد، حيث يجلس هو في ركن منها يعتصره الألم والحسرة، ويتناثر من حوله غبار الهم الموحش. رأيته وهو لم يرني، صرخت وقلت: أنا آسفة يا يوسف، سامحني، أرجوك سامحني، ولكن لم يسمعني، اقتربت منه لألمسه ولكن لم يشعر بوجودي، فدخلت امرأة من البوابة الحديدية لتقول: أرأيت ماذا فعلوا بك؟ لق خذلوك، كفا طيبة أرجوك وارجع لرشدك، فاستيقظت من النوم مفزوعة، أجل إنه مجرد كابوس لا أكثر، ولكن الأفكار هاجمتني بشراسة، وثمة تساؤلات دمرت عقلي: من تلك المرأة؟ كيف يرجع لرشده؟ ولماذا تأسفت ليوسف في الحلم؟

وفجأة انتابني شعور أنه لم يكن مجرد حلم وأنه مسجون بالفعل، وصوت في داخلي يصرخ ويقول اتصلي به، اطمئني عليه، يا للهول أيكون مسجونًا بسببك أنتِ؟ وعقلي ينطق لماذا سيسجن بسببي أنا؟ كانت الأفكار تهاجمني فجأة، ثم تفر هاربة من عقلي، كنت مشتتة وقلبي يعتصر ألمًا، لماذا أتألم بسببك يا يوسف؟ أنت دمرت صديقتي فاطمة، لماذا يسكن في

قلبي الألم الآن؟ أمسكت الهاتف تلقائيًا وكتبت رسالة: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. كيف حالك يا يوسف"، وصمت.

ماذا أكتب؟ أأسأله إذ هو مسجون أم لا؟ ما هذا الهراء!! وفوجئت بالرد وصوت قلبي بدأ يعلو كأنه يصرخ من الخوف قال: لماذا تحدثيني الآن، أنتِ خزلتني يا أشرقت، لم أستطع مساعدتك ثانيةً، ألا تعلمي ماذا حدث معي بسببك أنت؟ قلت في نفسي إذن عندما سمعت تلك المرأة في الحلم تقول "خذلوك" كانت تقصدني أنا، أجل كل ما رأيته كان حقيقيًا وليس مجرد حلم.

قلت بحزن: آسفة لم أتذكر اليوم لأنفذ كل ما أمرتني به، حقًا أنا آسفة.

قال: لا، أنتِ تذكرتِ اليوم، وكان واضحًا في عقلك مثل وضوح النهار، ولكنك خفتِ، لم تثقي بي، لماذا إذن تحدثينني الآن؟

كنت أعلم أن أساليب التعاطف لن تنفع معه، فهو يعلم كل شيء، ولذا قلت: لا أريد أن أشفى، لا أريد مساعدتك، فقط أنا أطمئن عليك، أنت مثل أخي.

انتهى الحديث بيننا، ولكنه لم ينتهِ من عقلي، أجل أنا لم أثق فيك يا يوسف، لماذا أثق في الشيطان؟ أنتَ دمية في يد الشيطان ليحركك بها، لا تستطيع مساعدة نفسك، فكيف ستساعدني؟ آسفة يا يوسف إذا عالجتني سأثق في الشيطان أكثر من الله والعياذ بالله، ولا أريد هذا، إنه يريد هلاكنا فكيف نثق فيه؟ أفكار تتطاير حول عقلي، هو سبب تعبي، هو الذي حرك جارتنا لأكن غنيمة لها وتفتت جسدي بالسحر، أيضًا الساحر الذي تفنن في تعذيبي، ألم يكن رسول الشيطان؟ الآن يريد الشيطان أن يساعدني، يريدني أن أشفى من عذابي، كم هذا مضحك!! مضحك إلى حد

البكاء، لا لن أثق فيك يا يوسف، لأني بمجرد الوثوق فيك سأصدق الشيطان وهذا كفر، أنا لا أريد أن تساعدني.

كفا حماقة أيها العقل، إن يوسف رسول الشيطان، ولا يعلم، أتذكر يا أمي الأيام التي عشتها أمامي، كأنها جبال مبنية في قلبي بقوالب الفزع والرعب، أتذكر عندما كنت جالسة إلى المكتب أدرس وشعرت عندها بحركة تحت السرير، حيث قتلني الفضول لأنظر، فرأيت وجهًا أسود مثل الدخان، وعينًا تنظر لي فنهضت بسرعة، وتفجرت أنهار الرعب والفزع داخلي، لم أصرخ ولكن جسدي هو الذي صرخ منتفضًا من الرعب، واهتز بشدة كأن زلزالًا اكتسحني، ولساني يردد بدون تفكير أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لا أريد أن أتذكر ولكن تلك الصور المرعبة تتجسد أمامي.

أتذكر ذلك اليوم الملعون في حياتي. كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، استيقظت وشعرت بالظمأ الشديد، فتحت باب الغرفة وأنا أترنح فلست بالوعي الكامل، لأرى شخصًا أمامي، جسده دخان أسود، الخوف والفزع ابتلعا كل الحروف، اللسان شل للحظات، لا أستطيع إخراج حرف واحدٍ من شفتيّ، كأن اللسان عجز عن تقليب الكلمات لإخراجها، وعقلي توقفَ، لا أستطيع تصور كيف كانت عيناه، كأن عقلي أزال هذا المنظر المفزع، اكتسحني الزلزال، لأجد نفسي أنتفض، كأن الجاذبية توقفت عن العمل، لأرتفع فوق الأرض، لا أتذكر ماذا حدث، كيف اختفى من أمامي، ما هي ملامحه، ولا أريد أن أتذكر.

اتصلت ذات يوم جدتي لتقول لأمي هنالك حل لينتهي مرض ابنتك، لترد أمي بلهفة وتقول: ما هو..

قالت: عليكم أن تذهبوا لساحر لاستخراج السحر، فقد سمعت أن هناك رجلًا.. لتقاطعها أمي وتنال منها العصبية مبلغ الشدة لتقول: تريدينني أن أكفر بالله برأيك هذا هو الحل؟ هل اتصلتِ لتقولي هذا، مستحيل أن أطلب المساعدة من الساحر يا أمي لتقفل الهاتف جدتي بغضب، رأيت دموع أمي تتساقط وهي تقول: يا الله عجزت الكلمات أمامك، أعلم أن هناك حكمة في تعب ابنتي، ولكن سامحني على عدم القدرة على الصبر، رأيت دموع أمي العاجزة تنهال من عينيها بغزارة، اتصلت خالتي وحاولت إقناع أمي أن شفاء ابنتها يكمن في الساحر، وأنها صبرت وحان الآن موعد أن تنزاح تلك الغيمة الثقيلة وتشفى ابنتها، وأنها ستذهب لطلب الشفاء وليس للإضرار بأحد. كانت أمي ترد بنفس القوة: لا لن أذهب، وتقفل الهاتف لتتساقط دموعها وتقول: يا رب تعلم الثورات التي بداخلي، ولكني عاجزة، ولا أعلم ماذا أفعل، لا أخفي عليك يا أمي كنت أتمنى أن توافقي لنذهب للساحر، كان الشيطان يرسم الأمل في عقلي للذهاب للساحر، والآن يا أمي تحطم، تحطم الأمل بعدما ذهبت للساحر أنا وأصدقائي، كان شابًا مسلمًا، ويزين كلماته بالإيمان، علمت من حديثي معه أنه ورث كتاب السحر عن والده، أيمكن للكفر أن يورث، كان يتفاخر بما أعطاه الشيطان من صلاحيات، أتي بغرور وهو يشير إلى صديقتي فاطمة ويقول أنتِ فاطمة أليس كذلك؟ ومن غبائه قال لي أنتِ مطلسمة بسبب القرآن الكريم، ويريد مني الساحر أن أتوقف عن قراءة القرآن.. كم هذا مضحك!! حاول إقناعي بذلك، ووقف عاجزًا عن علاجي، كأن صلاحياته جردت منه أمامي، أم صلاحياته لا تستعمل غير في الشر، أيقنت هذا الآن يا أمي، أيقنت لماذا لم توافقي على الذهاب للساحر

حينذاك، كم طفلتك غبية، تفهم ولكن ببطء، احتاجت سنوات لتفهم مؤامرة الشيطان، وأن ذهابي للساحر لا يجدي نفعًا، كنت محبطة وتملكني اليأس وشعرت بعد مجيئي من عند الساحر بأن السحر ازداد قوة بداخلي، وأن إرادتي تحطمت مع الأمل، لتنقذني فاطمة باتصالها، لتسحبني من بئر اليأس وترسم لي الأمل من جديد، وتقول إن هناك شيخًا يحفظ كتاب الله بسبع روايات، ويمتلك بصيرة، وقد رآني في بصيرته وأنني مصابة بالسحر وتعاطف معي، وقال لفاطمة إنه يريد أن يساعدني، في تلك اللحظة غزتني الفرحة، وظهرت الابتسامة على شفتي، وقلت: أعطني رقم هاتفه، كان الأمل يا أمي مثل شخص يرفعني إلى السماء ثم يترك يدي لأرتطم بالأرض من جديد، ولا ينظر كم تحطم كل شيء بسببه وكيف دمرت نفسيًا، بسبب الأمل، ولكن حينذاك لم أفكر في التحطيم المعنوي، فكرت في التحرر من السحر، من القيود والهم والتعب نهائيًا، سأصبح حرة، سأتذوق الحرية أخيراً كم هذا رائع، اتصلت به وأنا أقول: السلام عليكم يا شيخ محمود أنا أشرقت صديقة فاطمة، أجاب: أهلاً أشرقت علمت بقصتك، ولكن أهم شيء في علاجي أن تثقي بي، هل تثقين بي يا أشرقت؟ أجابت باستغراب وتوتر: ولماذا لا أثق بك؟ لقد بعثك الله قبل أن ينهشني اليأس.

في الحقيقة كنت مستغربة من حديثه، لم أشعر بهيبة ووقار الشيخ في الحديث معه كأن هذه الصفات قد سلبت منه، كان يحدثني عن نفسه كثيراً وعن البصيرة التي يمتلكها، وأنه قادر على التواجد في مكانين، وأن أحدًا من أصدقائه اتصل به وهو يعتمر، وقال هل أنت تعتمر معنا يا شيخ لقد رأيتك من بعيد، وقال وهو فخور أن روحي ذهبت واعتمرت

وأنا في بيتي، كان حديثه يثير شيئًا بداخلي ولا أعلم ما هو، لم أنبهر بهذه القصة، كان يسقط من نظري ولا أعلم لماذا، أيمكن لتسلق الغرور في كلماته، لا أعلم، ولكني أزلت غبار التفكير من جمجمتي، وقلت في نفسي ما يهمني هو أن يساعدني في العلاج، هذا هو المهم عندي، لا شيء آخر، ولكن لم أستطع أن أطرد الشك الذي بدأ يتسلل مع كلماته، قلت له متى ستقرأ، ألن تقرأ رقية من القرآن عليّ لتساعدني في الشفاء، كانت إجابته ساحقة لي، أجاب بثقة: أنا الآن أرقيك ولكنك لا تعلمين، قلت باستغراب كيف ترقيني؟ قال بثقة حديثي معك رقية، ليس من الداعي أن أرقيك بالقرآن، علمت حينذاك أنه ليس بشيخ، وشككت بحفظه للقرآن، ولكن خفت، خفت يا أمي من موت الأمل، خفت أن أقتل الأمل بتهوري هذه المرة، وطردت هذه الأفكار وقلت إنها أفكار شيطانية، وأنه شيخ وهذه طريقته في العلاج، ولكن كانت الأفكار تعلو وتعلو في ذاكرتي، كنت أسمع صوت ضجيجها الصاخب، أنقذتني فاطمة باتصالها لتخمد صوت أفكاري وتقتله للأبد، وتضع النقاط فوق كلمة الشك لأتأكد.

قالت: ألو أشرقت لا تحدثي الشيخ محمود ثانيةً..

قلت لها: كنت أفكر في هذا ولكن ماذا حصل؟

قالت بحدة: إنه كاذب ومخادع.

قلت لها: كيف علمتِ ذلك، أنا أيضًا انتابني شك في تصرفاته، وانتابني شك من حديثه أشعر أنه متصل بالجن، لأنه يعلم أشياء في علم الغيب، قال إنني سأتزوج قريبًا، وأن هنالك عريسًا متقدمًا لي، وهذا صحيح.

قالت فاطمة: إنها كارثة يا أشرقت، الموضوع أكبر من اتصاله بالجن، اكتشفت من أختي مصيبة، أنا سألته بوضوح عن اتصاله بالجن، وقد

اعترف وقال إنه يمتلك خادمًا من الجن وهذا ليس حرامًا، وعندما قلت له لن نتعالج معك أنكر وقال إنها بصيرة، وكان يكذب عليّ ليرى ردة فعلي، ولكن عندما سألت أختي عنه، كشفت لي عن مصيبة أو كارثة.. قلت ماذا؟ قالت.. لأجد أمامي صمتًا قلت: ألو صمت... انقطع الهاتف وتركتني لينهشني الفضول والخوف.

الشيخ محمود إذن يمتلك خادمًا من الجن، والذي ذهب يعتمر هو الخادم على شبيه الشيخ محمود ليفتن الناس ويضللهم، كي يقولوا إنه ولي الله.. القلب علم الحقيقة.. والعقل كشف المؤامرة... يا الله لا أعلم، ولكن قلبي يقول إنه رسول الشيطان أيضًا مثل يوسف.

كانت حياتي مبنية بقوالب المفاجآت، فلم أتفاجأ عندما اعترف الشخص الذي أراد خطبتي بسره الخطير، صليت استخارة وتحدثت معه لتتضح شخصيته.

قلت ببراءة: أنا أمتلك سرًا لا أعلم أهو سر أو عيب؟ أنا مريضة نفسيًا أو قل إنني موهومة كما يقولون، ولكن الحقيقة أن سحرًا قديمًا قد تناثر فيّ.. أجل الحقيقة أنني مسحورة منذ صغري ولم أشف حتى الآن، كنت دائمًا أخبئ نفسي بين ظلمة الليل الموحشة كأنني نملة صغيرة يرعبها العالم المخيف الذي لا أعلم عنه الكثير، العالم الذي ارتطم بي في أول تفتح إدراكي كنت أتساءل بسخط لماذا؟ لماذا أنا بالذات يحدث هذا معي؟ لماذا ماتت الضحكة في وجهي؟ لماذا أتخبط في ظلام دام طويلًا حتى نسيت الضوء؟ فكرت في الانتحار ولكن حتى الانتحار رفضني، شعرت وكأن العالم كله يرفضني، وأنا في سجن بقضبان الهم والفزع وحيدة.

أجاب بثقة: كلنا سجناء يا أشرقت، لا تخافي أنا معك وسأعترف لك بسر لم أقله لأحد من قبل.

قلت بفضول: ما هو؟

قال: أنا أستطيع مساعدتك، وأعلم أنك مصابة بسحر لقد أخبرني هو بذلك.

قلت بفزع: من هو الذي أخبرك؟ وكيف ستساعدني؟

قال بغرور أنا معي أوراد من كتاب سيدنا سليمان.

قلت باستغراب: أوراد!! كيف؟ أرجوك وضِّح.

قال: كتاب سيدنا سليمان يمتلكه شيخ أعرفه، وقد اختارني وقال لي أن أقرأ صفحات من الكتاب كل يوم فهي وردي اليومي لأمتلك خادمًا من الجن يخدمني، ويكون مطيعًا لي في المقابل، يطلب مني أوامر أنفذها وإلا سأموت، سأعلمك عندما نتزوج أن تمتلكي خادمًا مثلي، يكون مطيعًا لك.

قلت: بفزع ماذا؟؟ أأنت دجال؟

قال: لا إنه ملك سيدنا سليمان، وأنا امتلكت جزءًا منه.

قلت: أأنت أيضًا دجال مثل يوسف؟

قال: افهمي.. إنه ملك سيدنا سليمان.

قلت: (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) (البقرة: ١٠٢).

وأقفلت الهاتف وأنا في صدمة، شعرت كأني داخل منزل مهجور يحتله الظلام المخيف المرعب، أحاول أن أهرب من ذلك المنزل المرعب، من الحياة، من الدنيا، كيف السبيل للهرب؟ أأنت دجال رسول الشيطان أيضًا؟ كنت أردد هذه الجملة ولست في وعي كامل، اختطفني الخوف، وجردت

الثقة فجأة من عقلي، كنت أشعر كأني جثة هامدة، لست في هذه الحياة كأني في حلم، ما هذا الكابوس المزعج.

كانت عيني تدفع الدموع بقسوة كأن الدموع وعاء لتصب غضبها فيه، كانت الدموع تتساقط بدون توقف، أشعر أني في وسط غابة تملؤها الوحوش المفترسة، وأنا أقف لوحدي في وسطها، والليل يحاصرني، والخوف يتسلل داخلي، والفزع يحتضنني، والسماء تكسوها بعباءة سوداء تجعلها أكثر وحشة ورعبًا، وأنا أقف مفزوعة أشيع جثثًا كثيرة اسمها الأمن والأمان والسكينة والراحة والاطمئنان، كلهم شيعوا مع الحياة، شعرت بأن الحياة ماتت بالنسبة لي، الثقة شيعت من قلبي.

كم أصبحت الحياة مخيفة؟

كيف سأثق في أحد ثانيةً؟

كم شخص جنده الشيطان لخدمته ولا يعلم.. ألم تعلم أنك تخدم الشيطان كفا حماقة، كم دجال يختفي في عباءة شيخ؟ لماذا نطلق على الدجالين شيوخًا؟ أم أنها لعبة الشيطان ليضلل طريقنا، ما قصة كتاب ملك سيدنا سليمان؟

أتكون لعبة جديدة من الشيطان ليجند بها الأشخاص الأغبياء؟

أتكون صلاة الاستخارة هي التي جعلته يعترف في أول محادثة بيننا؟ ويكشف عن سره الخطير ليتضح أنه دجال؟.. أصبحت مشوشة، لماذا انتشر الدجل والشعوذة بكثرة، لأننا تخلينا عن ديننا، أم لأن الشيطان يعمل باجتهاد على إغوائنا؟ كم هي لعبة لعينة من الشيطان يلعبها ضدنا، دون أن نعلم قواعد اللعبة، أريد أن أعتذر لكل شيخ يحمل كتاب الله في قلبه، وأقول له إنني غبية نطقت كلمة شيخ على بعض الدجالين

ولا أعلم، كم كلمة "شيخ" عظيمة لأن رجال الدين تحملها، لماذا يقدمها المجتمع للدجالين؟ أم هي لعبة الشيطان ونحن لا نعلم.

توقفت أمام نفسي لأسألها كم هو مؤسف أن أدخل دوامة السحر، ولكني أستطيع أن أخرج منها، أجل أمتلك الكتاب العظيم، القرآن الكريم، بدأت أقرأ سورة البقرة وأنا واثقة من الفوز في تلك الحرب، يا رب كن معيني، كن دليلي، كن طريقي.

توكلت عليك يا الله، تعلمت من الدرس، لا أريد أن أذهب إلى دجالين، سأساعد نفسي على الشفاء من السحر، والله هو الشافي، وتأكدت أن قوة الشر تحتاج قوة أكبر منها بكثير قوة القرآن الكريم كلام الله عز وجل، هو من خلق الشيطان وهو الوحيد القادر عليه.

**ما الحب إلا خيال وجنون، وإنّي لأنبئك بأنّ المحبّ يستحق أن يُلقى به في غرفة مظلمة ويجلد بالسوط شأن المجانين، وأمّا السبب في أن المحبين لا يعاقبون على هذا النحو ولا يشفون من علتهم، فهو أن الجنون أصبح شيئًا مألوفًا حتى ليبتلي به الضاربون بالسياط أنفسهم.**

**وليم شكسبير**

# فاطمة

رأيت نسمات الهواء تتراقص وأنا جالسة معك يا يوسف، كانت النظرات والهمسات تلاحق مسمعي وأنا ممسكة بيدك، كان زملائي في صدمة، كأنك يا يوسف محرم عليّ، كانت السعادة تغرق قلبي، سعادة لا توصف، شعرت أن كل خلية في جسدي تتراقص مع موسيقي صوتك.

قلت: أنا لست مصدقة.. أنت معي الآن؟ الخوف يدق باب قلبي.

أجبت: مما تخافي يا حبيبتي؟

قلت: أخاف أن أكون في حلم.

أجبت: لا تخافي، أنتِ في الواقع، سأجعل كل أحلامك واقعية.

قلت: لكن أنت متزوج بنت ملك الجان، متزوج من العالم الآخر، وهي هددتني أنها ستدمر عائلتي.

أجبت: انتهت اللعنة يا حبيبتي، ستكونين دائمًا حبيبتي.

قلت بفرح :حقًا؟

أجبت حقًا.. لقد انتهت اللعنة.

فجأة استيقظت على صوت أختي وهي تقول أنتِ كسولة دائمًا قلت لك أن ترتبي الغرفة، ولم تفعلي.. استيقظي، فتحت عيني لأجد أنه مجرد حلم، لم يكن حقيقة، قمت وأنا في قمة الإحباط، كم تمنيت في أعماق قلبي أن يصبح هذا الحلم حقيقة، قالت أشرقت ذات مرة إن أحلامي صادقة، ولكن هذه المرة خانتني أحلامي، لم تصدق ولم أنتظر تحقيقها، هذا الحلم لن يتحقق، أعلم هذا..

أمسكت الهاتف لأنصدم، كم كنت منهكة إلى حد الصمت، أحيانًا الألم يفتح بداخلنا أبوابًا سرية لم نكن نعرفها من قبل، أبوابًا تجرنا إلى معرفة الحقيقة التي تكمن في الحياة، الحقيقية التي لم أتجرأ على النطق بها، كنت أتلقى الصدمات بصمت، لم تكن صدمة الشيخ محمود بالنسبة لي إلا معرفة الحقيقة، وكشف عن قناعه الذي يتخفى وراءه بكلمة شيخ، كنت أتحدث معه ببراءة كأنه هو الشيخ الذي ألقت به الحياة في طريقي ليشدني إلى الصلاح، ولكن الصدمة قتلتني عندما اكتشفت معه أنه يمتلك خادمًا من الجن، وليست بصيرة كما يدعي، كم كنت ساذجة لتصديق حديثه، ولكن الآن لم تعد قوالب الشك تبني في قلبي، بل تأسس سور الحقيقة مكانها، لأنه اعترف، اعترف بكونه يمتلك خادمًا من الجن.

عندما وصف غرفتي وأنا أحدثه قال كأنه يريد إبهاري أنتِ الآن على الأريكة توجد أمامك طاولة سوداء، وعلى يمينك أختك نائمة على السرير.. نظرت نظرة فزع حولي لأتأكد من كلماته الصادمة، لم يكن من الداعي أن أنظر لأتأكد لأني كنت في خبايا عقلي، أعلم حقيقة كلماته وصحتها، ولكني نظرت لأمحو من عقلي أنها بصيرة، لم تكن البصيرة هكذا يومًا، سألته بوضوح أنت مثل يوسف، تتحدث مثله؟ وتعلم أشياء هكذا، قل

الحقيقة؟ .. كانت إجابته سهمًا يقتل قلبي، أجاب بغرابة يوسف، يوسف كل شيء يوسف، عرفت أنك تحبينه كفا ذكر اسم يوسف أمامي، متى تتوقفين عن التفكير فيه؟ إنه دجال.

أعلم أنه أراد جرحي بالكلمات ليخفي بها ارتباكه، لكوني بدأت أن أشك.

قلت بعصبية: وأنت مثله أيضًا دجال.

قال: لا.. أنا لست مثله، هو متزوج، ولكن أنا معي خادم وهذا ليس حرامًا.

قلت: متصل بالجن، ساحر، يوسف لم يدخل هذا العالم إلا عندما قرأ هذا الكتاب اللعين وهو صغير في العمر، ولكن أنت بإرادتك، تمتلك خادمًا من الجن، لتكن ولي الله أمام الناس، وساحرًا أمام الشيطان.

قال: ليس حرامًا.. افهمي.

قلت: أنت دجال أيضًا.. لا أريد مساعدتك.

أجاب: لا تريدين أن أساعدك؟

قلت: أجل.. وسأحذر أشرقت منك أيضًا.

أجاب: انتهى الدرس الآن، حديثي لم يكن صادقًا أنا لا أمتلك شيئًا، أعوذ بالله، هذا كفر، أردت أن أرى رده فعلك، من الدجالين ولكنك كسبت الرهان.

قلت: رهان ماذا؟.

أجاب: رهاني مع نفسي، راهنت أنك سترجعين إلى يوسف، إذا حدثك، ولكني الآن مطمئن أنك تعلمين أنه دجال.

كنت غبية لأقتنع بحديثه، ولكن الحقيقة التي تكمن في القلب كانت تقول: لا إنه كاذب.

فتحت الحديث مع أختي التي مدحته من قبل، قلت لها ألم تحدثي الشيخ محمود عن قصتي من قبل.

أجابت: لا.

قلت باستغراب: وكيف علم؟ ولماذا حدثني من تلقاء نفسه؟

أجابت بتوتر: علم ماذا؟ هل تحدثت معه؟

قلت: علم بقصتي وفجأة وجدته من دون إنذار يحدثني، وأنا حكيت له قصتي مع يوسف، والآن هو يساعدنا.

قالت وقد ارتسم الخوف على وجهها: فاطمة ابتعدي من هذا الشخص، هو حدثك لأنه علم بقصتك من الجان، هو معه خادم، أنتِ لا تعلمين شيئًا، لقد حدَّثني عن رصد البيت بدون أن أخبره بشيء، وجدته يعلم كل شيء، وقال أستطيع مساعدتك أنتِ وأهلك ولكن بشرط، كان الشرط مساومة منه.

قلت: وساوم على ماذا؟

أجابت وهي تنظر للأرض بيأس: على حياتي.

قلت بفزع: ماذا قال؟

أجابت: يريد أن يتزوجني لأكون الطريق الذي يصعد به إلى الكنز، لا يهم إذا أحد منا فقد حياته بسبب إخراج الكنز، شعرت من حديثه أنه منبهر بالكنز الذي تحت منزلنا، قال: أنتم لا تعلمون كم هذا الكنز عظيم، إنه مذهل، أستطيع إخراجه وحصتي منه النصف، عندما قلت: لا نريد إخراجه، لا نريد فتح أبواب جهنم على أنفسنا، قال لي: إنه يحبني ويريد أن يتزوجني، وعندما قلت له: اتق الله أنت متزوج قال بثقة: ستتعذبين بقية حياتك أنتِ وأهلك وأنا الدواء، سأساعدكم بشرط أن توافقي أن

أتزوجك. كان حديثها كارثة بالنسبة لي، أخبرت أشرقت لتبتعد عنه، كانت الصدمة ما زالت تترنح في خلايا عقلي، والألم ينهشني بدون رحمة، لا أعلم لماذا جئت الآن في خاطري يا مكة، دائمًا كنت تقولين لي إنني أمتلك مرحًا وابتهاجًا يذوبان حزنك وتصفينني بالشمس التي تذوب جليد حزنك وألمك، كم تجمدت شمسك يا مكة لتصبح جليدًا من الهم والحزن الراقد في قلبي، اتصلت بها وأنا في غاية الإحباط والألم.. قالت بمرح: أهلاً بشمسي.

قلت بيأس: لم أعد شمسًا أصبحت جليدًا.

قالت بخوف: ماذا حدث يا فاطمة؟ أخبريني.

قلت: الشيخ محمود اكتشفت أنه دجال مثل يوسف، أشعر أن حياتي ملعونة، أصبحت أصطدم بالدجالين فقط.

قالت: لا يا فاطمة، لا تفكري هكذا، أنتِ في ابتلاء يمتحن الله به صبرك، أما الدجالين فإنهم تزايدوا لدرجة ترعب، الحمد لله أنك علمتِ أنه دجال لتبتعدي عنه.

قلت: أجل صحيح، حلمت ليلة أمس حلمًا عجيبًا كأني أجلس مع يوسف ويمسك يدي، وأنا في غاية السعادة، كنا نتحدث كأن اللعنة انتهت.

قالت: وجدت فكرة جيدة.

قلت: ماهي؟

قالت بمزاح: أن تحدثي يوسف.

قلت بفزع: أجننتِ؟

قالت بمزاح: دعينا ننهي القصة، بنهاية يرتضي بها القارئ.

قلت بفزع: أتزوج دجالًا يا مكة، لا.. مستحيل، مهما بلغ الحب في قلبي فلن أتزوج يوسف، إنه دجال أتفهمين هذا؟

قالت والضحك قد امتزج مع صوتها: لكن نستطيع استغلاله فهو الوحيد الذي لا يطمع في الكنز لأنه متزوج بنت ملك الجان، وهو يستطيع إخراج الكنز، فكري هذه فرصة لن تأتي ثانيةً، ولكن لا تنسي صديقتك المسكينة مكة، أنا لا أريد غير عروسة ذهبية، أنا قنوعة جدًا.. بالمناسبة كم تساوي هذه العروسة؟ مليونًا أو أكثر؟.

قلت: لا أعلم.. أظن مليونًا.

قالت بجدية: هذا عظيم، سأكون غنية قريبًا بفضلك يا فاطمة، وبعدها سأقطع علاقتي بك، لا تحزني، أعلم أن صداقتي بك ملعونة لذلك سأقطعها.

أعلم يا مكة أنك أردت استخراجي من بئر الهم بحديثك.

قلت وأنا أمثل نجاحها في اللعبة: حسنًا أولًا اسمه تمثال ذهبي يا جاهلة، ثانيًا لا تستهوني بي سأحدث يوسف وأعتذر لزوجته سمية وأجعلها تنقلب ضدك وستأتين لتعتذري لي على قطع صداقتي.

قالت بضحك: لا سأعتذر الآن يا ملاكي دون أي مجهود منك، من قال إن صداقتنا ملعونة، صداقتنا أجمل ما في الكون..

فضحكنا أتقنت دور اللعبة يا مكة، ولكن لم تتقني فن سحبي من حزني، كنت كمن يترنح في خلايا نفسي، لا أعلم لماذا أصبحت حياتي مخيفة جدًا عندما دخلتها يا يوسف، ولا أعلم لمَ كنت أرتدي ثوب الشجاعة، كان يسيطر على عدم الخوف من عالم الجن، أكنت أنت السبب؟ كان الموقف حقًا مخيفًا حين ذلك، ولكني لم أخف، لماذا عندما أتذكره أشعر بالرعب

الآن، لماذا خلعت فجأة ثوب الشجاعة، كانت عقارب الساعة تشير إلى منتصف الليل، كنت أدرس مع صديقتي ريم للامتحان، ذهبت لدورة المياه ، وبعد خمس دقائق سمعت صوت ريم تدق الباب وتقول: أنتِ لم تنتهي بعد؟ أريد أن أدخل، قلت لها: سأخرج انتظري وفتحت الباب، ولم أجدها تنتظرني، ذهبت إلى الغرفة لأجدها جالسة على المكتب تذاكر، قلت لها: ألم أقل لك انتظريني سأخرج عمومًا دورة المياه الآن بانتظارك ادخلي، قالت باستغراب: وكيف علمتِ أنني أريد أن أدخل دورة المياه. قلت: أنتِ جئتِ لتدقي الباب وتستعجلي خروجي، قالت بفزع: أنا لم أتحرك من هذا الكرسي، قلت بغضب: ريم والله العظيم أنا سمعت صوتك وسمعت دق الباب، لا تكذبي، قالت المسكينة وقد ابتلعها الخوف: والله والله والله لم أتحرك من على كرسي المكتب، كنت أريد أن أدخل ولكني انتظرتك لتخرجي لوحدك، سألتها: من كانت هذه الفتاة إذن؟ قالت: لا أعلم.. البيت مسكون يا فاطمة، أتذكر ريم وقتها لم تستطع النوم ولا المذاكرة ولا دخولها دورة المياه، كانت مستيقظة والرعب يبتلعها، ذهبت للامتحان وهي لم تذاكر وبعدها ذهبت إلى بيتها ولم تأت إلى الشقة الدراسية ثانية.. استأجرت شقة غيرها، والغريب يا يوسف أنا لم أخف، وأنا التي سمعت الصوت ودق الباب ولم يتحرك الخوف داخلي.. لقد أيقنت فيما بعد أن الشقة من المحتمل أن تكون مسكونة من الجن لسماعي أصواتًا في منتصف الليل خلف باب الشقة، كأن طفلًا يلعب، وأنا أعلم أنه لا يوجد أطفال في العمارة، أكانت الشقة مسكونة حقا؟ أم أن زوجتك أرادت إخافتي، ولماذا وقتها لم أخف؟ ولماذا خلعت ثوب الشجاعة عندما اعترفت بأسرارك لي؟

كانت صوت الأفكار يعلو ليكتسحني صداع مفاجئ، أمسكت رأسي بيديّ وأنا أقول بصوت هامس أصبحت أذوب في خلايا نفسي، وأنت سبب ضياعي، وقفت أمام دموعي المنهمرة كالجلاد الذي لا يرحم فريسته، والآن بعد كل هذا العذاب والضياع، والنفس التي أصبحت بفضلك هشة، سهلة الكسر بعثت لي رسالة تريد أن ترجع لي قلت لي: فاطمة أرجوك، لا تتخلي عني، أنا آسف لكل ما حصل، سامحيني، كل شيء كان وهمًا أنا شفيت، نظرت في الرسالة بذهول لأفاجأ برسالة أخرى منك: أعلم أنك لست مصدقة سأحلف والله العظيم لقد تلقيت العلاج يا حبيبتي، صدقيني هذه المرة فقط، أرجعي لي لترجع الحياة لي، بدونك أنا ميت يا فاطمة، بعثت رسالة بتردد ولكن أردت التأكد، كتبت: لماذا؟ لماذا يا يوسف؟ قلت: ماذا تقصدين يا حبيبتي؟ تلقائيًا كتبت لماذا تخدعني الآن؟ لماذا تكذب مجددًا؟ ألم تكف أربعة أعوم؟ تريد المزيد من السنوات؟ كفى أرجوك كفى كذبًا وخداعًا أنت دجال، قلت بنبرة حزن: الله يسامحك يا فاطمة علمت وقتها أن كلمة دجال تطعن قلبك.. تقطع كل خلايا جسدك، أحببت أن أنتقم بهذه الكلمة فأصبحت أكتبها في كل جملة أرسلها إليك حتى وإن لم يكن لها موضع في الجملة، أحاول أن أضعها، شعرت كأنها سلاحي الذي أطعنك به، وكنت أنت الذي يتلقى الطعنات بصدر رحب، كأن حديثي معك ينسيك سم الكلمات، كان كل ما يشغل عقلك أن أصدقك، قلت: أرجوك لا تقتليني بكلماتك.. فأنت لا تعلمين كم هذا مؤلم، فاطمة أنا لم أحب أحدًا غيرك أرجوك صدقيني، لا تتخلي عني، حاولت أن أتعالج لأجلك، لأكون معك، لكي لا أفقدك، لا تجعلي كلمة "لا" تقف حاجزًا بيننا، لا أعلم لماذا وقت ذاك تذكرت الحلم الذي

كنت فيه أجلس معك، هز كياني تذكرته شعرت أنني أصبحت مثلك أحكم عليك بالبعد دون أي بيِّنة، لماذا أصبحت أشبهك، أأصبحت جلادة مثلك؟ أم أنا كنت أنتقم منك دون أن أعلم. كتبت: يوسف لا أريد أن أظلمك كما فعلت معي، أريد أن تثبت صحة قولك وأنك فعلًا قد تلقيت العلاج.

قلت فرحًا: أجل سترين شخصًا جديدًا غير يوسف القديم.. تغيرت يا فاطمة.

كتبت بفضول: ماذا حصل مع زوجتك بنت ملك الجان؟

قلت: احترقت.

كتبت: احترقت احترقت؟ كم هذا مفرح، لماذا لا تختار رجلًا من الجان؟ ألم يكفها رجال الجان كلهم لتختار من الإنس، إنها لعينة.. الحمد لله أنك انتهيت منها وحرقتها، كيف أحرقت اللعينة خاطفة رجال الإنس؟

قال: لا أعلم ولكن لا أتذكر أي شيء، لقد كان وهمًا وانتهى.

كنت أشتم فيها عمدًا لأثير غضبها إذا كانت ما زالت موجودة سيدافع حتمًا عنها، أردت أن أتأكد بطريقتي هذه، ولكن لم تدافع عنها، لذلك صدقتك.

بل أقنعتني أنك كنت مريضًا نفسيًا، وأن كل شيء كان من وحي خيالك، وأنه كان وهمًا، لا أعلم لماذا صدقتك لأني كنت أتمنى هذا الكابوس أن ينتهي وترجع لي كما كنت.

قلت لي: سأتقدم لأهلك الشهر المقبل، كفى ألمًا وهجرًا، أريدك أن تكوني لي..

تفاجأت من طلبك كثيرًا، وكتبت لك: لا ليس الآن.

قلت لي: لا تريدين أن أخطبك؟.

كتبت لك: ليس هذا ما قصدته، ولكن أريد أن أخبر صديقتيَ مكة وأشرقت عن رجوعي لك.

قلت لي بعصبية: لماذا؟ .. هذا الأمر لا يعني أحدًا غيرنا.

كتبت لك: بل يعني صديقتيَ أيضًا، يعني صديقتيَ كثيرًا، ولا بد أن تقتنعا أنك تلقيت العلاج، أعلم أنك غاضب كوني أقحم صديقتيَ في حياتي الخاصة، ولكن أنت لا تعلم كم أحبهما.. إنهما العصا التي أتكئ عليها وقت عصف الحياة بي.. وقت انكساري.. لا أتذكر كم مر من السنوات وقت بداية صداقتنا.. كم أصبحت صداقتنا رباطًا قويًّا الآن.. أتذكر بداية صداقتي بمكة كانت فتاة حزينة ووحيدة بموت والدتها، ارتدت ثوب الحداد سنوات من عمرها، كان موت والدتها أكبر فاجعة صُدمتْ بها، حاولت كثيرًا أن أنتشلها من حزنها، ولكن فشلت لأراها تسقط أمامي في بحر الذكريات، ولا أستطيع إنقاذها، كم هو مؤلم فقدان الأم لو تعلم، ولكن يجب أن ندفن جثث الحزن والألم قبل أن تدفن حياتنا.. هذا صحيح أحيانًا الألم يوقظ أحلامنا النائمة وأحيانًا يدفنها.. حاولت أن أوضح هذا لمكة.. لا أعلم أنجحت أم فشلت.. ولكن ذات يوم قالت لي:

فاطمة تمتلك مرحًا وابتهاجًا يذوبان بها حزني. كأن حزني وألمي جليد وأنت الشمس بعينيها.. فاطمة أحبك كثيرًا.

قلت: وأنا أحببتك أكثر.

ذات يوم رأينا أشرقت تقف بعيدة ووحيدة في حجرة الدراسة، وجدت قدميَ تتحركان تلقائيًا نحوها.

قالت مكة: أين تذهبين؟

قلت وأنا أحرك يدي نحو أشرقت: أريد أن تكون هذه صديقتنا.

قالت: أمجنونة أنتِ.. انتظري، كيف تريدين أن تكون هذه الفتاة صديقتنا ونحن لا نعلم عنها شيئًا.

لم أصغ إلى مكة وتحركت نحو أشرقت، لا أعلم كيف قاومت الغربة لأتعرف عليها، ماذا رأيت في أشرقت لتجذبني منذ الوهلة الأولى؟! أيمكن أن أنجذب للحزن الذي يتدفق في عينيها.. وانجرفت مكة معي اتجاهها أيضًا.

كانت فتاة يكسوها الحزن ويقيدها اليأس، أحسست أنها لا تريد أن تتحدث معنا.

ولا أعلم لماذا كنت بهذا التطفل، وأخذت رقمها كأنها صديقتي منذ زمن قديم. شعرت أنني رأيت هذا المشهد في زمن ما.. أيمكن أن نكون قد تلاقينا في عالم الأرواح؟.

في أول اتصال بها كان هاتفها مغلقًا، لا أعلم لماذا تملكني القلق تجاهها؟ أخبرت مكة أنني قلقة بشأن أشرقت، وأن هاتفها مغلق لأجد مكة تنهرني وتقول: قلقة؟!.. أنتِ تعرفينها منذ يومين فقط.. كانت مكة عكسي تمام لا تثق في الآخرين بسهولة.. ولكن حقًا كان القلق ينهشني شعرت أنها صديقتي منذ زمن، وعندما شعرت مكة بقلقي الشديد قالت: اطمئني سنحاول الاتصال بها لاحقًا، حاولت كثيراً أن أحدثها حين ذاك تفاجأت باعترافها من أول محادثة بيننا، اعترفت أنها مريضة بالسحر وقالت جملة أحزنتني كثيراً: "أنا لا أريد أن أضركما بالاقتراب مني، لا أريد أن يقترب أحد مني، لا أعلم لماذا اعترفت لنا؟ ولا أعلم لماذا صدقت حديثها؟.. وقلت: لا تخافي سنقف بجوارك أنتِ من الآن صديقتنا الثالثة.. لا أعلم كم تغيرت الأوضاع كثيراً لأكون أنا التي أحتاجكما.. ويريد يوسف ألا

أقحمكما في مشكلاتي.. هو لا يعلم كم أصبحتما بالنسبة لي، أكثر من أخواتي.

اتصلت بكما وأنا في غاية السعادة لكي أخبركما بأن يوسف قد تخلص من اللعنة وأن الحلم تحقق، وفوجئت كثيراً من ردة فعلكما، قالت مكة: لا تكلميني ثانية سأقطع علاقتي بك إذا صدقته، إنه كاذب.. وأيدت أشرقت حديثها لتقول: الحلم دليل كذبه، ألم تعلمي أن قوته الخارقة تتحكم في الأحلام، إنه بعث لك الحلم، إنه يجلس معك لكي يمهد للرجوع لك في عقلك الباطن.. أنسيتِ يا فاطمة الحلم الهدية؟.

كان حديثهما بمثابة ذاكرتي المدفونة.. تذكرت الآن، كم ذاكرتي تخونني أحيانًا. جاء مشهد الحلم كأنه البارحة.. وعندما اتصلت به لأخبره على الحلم فوجئت كثيراً، وأيضًا انتابني الخوف والرعب منه.

قلت له: لن تصدق يا يوسف، لقد حلمت بك كأنك في منزلنا، ووضعت علبة بجواري والمفاجأة أنني وجدت العلبة فعلًا عندما استيقظت، أريد أن تشرح لي كيف حدث هذا!

أجبت ببرود: إنها هدية لك يا حبيبتي.. وعليك أن تفتحيها.

قلت: لا أريد هدايا.. أريد أن أفهم كيف حدث هذا.

أجبت: لن أوضح شيئًا إلا بعد أن تفتحيها.

انصت إليه وفتحتها لأجد خاتمًا من الفضة في غاية الروعة، لم أفرح بهذا الخاتم، وكيف أفرح وقلبي مرعوب!! بدأت أخاف منك يا يوسف.

قلت: وضح كيف دخلت إلى منزلنا، وكيف حلمت بك.

أجبت: حبيبتي لا تخافي مني، أنا كنت أريد إخراج هذا الرصد من منزلكم، لأني أعلم كم تعاني أنتِ وأهلك من هذا الرصد اللعين، ولكني لم أستطع..

يحتاج الأمر إلى زيارة أخرى، وتركت لك هذا الخاتم هدية يعبر عن حبي لك.

قلت: ألم تخف أن يستيقظ أحد ويراك، ويتهمك بأنك لص؟

أجبت: لا تخافي، أنا أستطيع أن أتحكم في نومكم وأحلامكم، لقد بعثت لكل واحد منكم حلمًا لكي لا يستيقظ، وجعلت لك أنتِ هذا الحلم لكي تري الحقيقة..

قلت: لا تعلم كم بدأت أخاف منك، أشعر أنك لست أنسانًا.

أجبت والله العظيم أنسان، لا تفكري كثيراً، جعلتني أندم، كل ما فكرت به أن يصل لك هذا الخاتم، ولم أفكر أنك ستخافين مني.

أتذكر الآن هذا الحديث، وهذا الحلم أنت السبب أيضًا فيه، كم اعترفت وقت ذاك أنك تتحكم في الأحلام، وتذكرت أيضًا عندما كنت تحدثني في منتصف الليل وقلت فجأة ستستيقظ والدتك الآن لتصلي، وقلت لك ليست معتادة أن تصلي في ذلك التوقيت وفوجئت عندما أتت والدتي فعلًا لتقول كم الساعة؟ قلت لها في منتصف الليل:

لماذا استيقظت يا أمي؟

قالت: لأصلي.

اندهشت بإجابتها. وهناك أمور كثيرة بهذا الشكل تخبرني بها وتتحقق.

كم كنت مخيفًا يا يوسف.. كيف أحببتك؟.. ولماذا ما زلت أحبك؟

وجدت نفسي في صراع بين عقلي قلبي، بين أن أصدق أنك كاذب وأنك شفيت.. كانت عيناي تتساقط منها الدموع بغزارة.. كنت أشعر أنني أختنق من الدموع.. من الحزن.. من الألم.. أختنق ولا أستطيع أن أتنفس..

أختنق ولا أستطيع أن أتحدث.. وجدت نفسي تلقائيًا أمسك المصحف، وبدأت أقرأ وتركت لك رسالة أنني سأصلي صلاة الاستخارة.

صليت صلاة استخارة، واقتربت من الله حين ذاك ودعوت الله كثيراً.

اندهشت عندما وجدت نفسي لا أحبك.. أجل الحب تسرب من قلبي بعد صلاة الاستخارة، كيف حدث هذا لا أعلم.. انتظرت يومين لأتأكد أن الحب مات من قلبي، لم أجد له أثرًا، علمت حين ذاك أنك كاذب ومخادع، وتساءلت كثيراً: هل كنت أحبك حقًا؟ أم أن حبك كان لعنة وانتهى أم أنك سحرتني لأحبك؟.. هل صلاة الاستخارة كانت بمثابة كشف ستار السحر لأدرك أن حبك وهم؟ هل شفيت الآن من حبك؟

والغريب أن الصداع انتهى مع حبك، وآلامي الكثيرة ماتت معك، هل سحرتني لأحبك؟

تطفو في ذاكرتي الآن الآية القرآنية: (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) (البقرة ١٠٢)، والبرامج التي أراها في التلفاز لجلب الحبيب.. إنه سحر، فهمت لعبة الشيطان الآن، كم كنت غبية لأكون لعبة في يد الشيطان.. استخدمت السحر لأحبك يا يوسف.. سأكون مع الله لأطردك من قلبي، وإذا شفيت فعلًا سيقربني الله منك.

**إن الطريق إلى الحقيقة يمر من القلب لا من الرأس،**

**فأجعل قلبك لا عقلك دليلك الرئيسي.. واجه، تحد،**

**وتغلب في نهاية المطاف على "النفس" بقلبك..**

**إن معرفتك بنفسك ستقودك إلى معرفة الله.**

**جلال الدين الرومي**

# يوسف

الجو كان مشحونًا بتيارات الغضب، اتحد الفزع والقلق مع ذرات الأكسجين ليصنعا قلقًا واضحًا، لم أكن موجودًا حينذاك، ولكن احتل اسمي المكان بقوة، كان يتردد ذكره كثيرًا، لم أر زوجتي سمية هكذا يومًا، كان الفزع والقلق يتشرب كل كيانها، كانت تقول بصوت يشبه انفجار القنابل: أين يوسف؟ ابحثوا عنه في كل مكان؟ الأوراق؟ لقد سرق أوراقًا مهمة، لا تتركوه؟ اقتلوه؟ كانت هائجة كالثور، بينما هم يبحثون عن الأوراق، لا أعلم بالتحديد ولكني سمعت صوتها يهز جدران المكان وهي تقول: يجب أن نجد يوسف في أسرع وقت؟ لماذا؟ .. وكيف حجب عنا؟

لقد سرق المذكرات، إنها كارثة.. من وراءه؟؟ كيف حجب عنا هكذا؟ إننا عالم الجن الذي نحجب عن عالمهم، وليس هم الذين يحجبون عنا، من قلب الموازين هكذا؟ لقد هدم كل ما بنيته، لقد بدأت في السيطرة عليه بعد ما خزلته فاطمة وأصدقاؤها، لماذا اختفى وراء الحجاب؟ أين قرينه لنستجوبه.. لماذا لا نرى قرينه؟ رد أحد الجنود أيكون قتل يا سيدتي؟ ردت بقسوة وغضب أصمت أيها الأخرق أنت تعلم أن القتلى لا يختفي

قرناؤهم، فنحن نستطيع أن نستجوبهم، ولكن يوسف اختفى بقرينه.. كيف حدث هذا.. يجب أن نجده في أسرع وقت؟ ولا داعي أن يعلم أحد باختفاء يوسف.

قال أحد الجنود: سيدتي يجب أن نُعْلِم الكل ليساعدونا في إيجاده، قالت بغضب أشد: إذن تقترح أن نقول لِملكنا الأعظم لوسيفر إن مذكراته سرقت، والذي سرقها أنس، تريد أن نقتل جميعًا أيها الأحمق. كانت تشع غضبًا، وتقول: لماذا؟

لماذا يا يوسف فعلت بي هذا؟ كنت على وشك أن آخذ صلاحيات أبي من لوسيفر، لماذا دمرت ملكي؟.. حياتي؟.. ماذا فعلت بك أيها الأحمق لتفعل بي هذا؟.

حتمًا بعد أن ضاعت أوراق لوسيفر فلن يزودني بالقوة التي كنت أريدها، لقد دُمِّرت.. دمرت وأنت السبب.. أتوق لقتلك أيها الأحمق.

لم ينتابني كابوس أو حلم بهذا المشهد، بل رأيته في يقظتي، علمت أنه من مستقبلي المخيف، أنسيت يا صديقي أنني أرى المستقبل، ولكن لم أفهم أي شيء من هذا المشهد، ما تلك الأوراق؟ ولماذا حجبت عنهم؟ وكيف حجبت عنهم؟ ولماذا سرقت تلك الأوراق وهي لا تعني لي شيئًا، ولماذا يبحثون عني بذلك الإصرار؟ وأين كنت؟ ومع من؟

لم أجد إجابات لتلك الأسئلة غير الانتظار، انتظار المستقبل المخيف والمرعب، أنا أعلم جيدًا أنني بدأت الحرب بسرقتي تلك الأوراق؟ ولم تكن الحرب عادلة يومًا معهم، أعلم كم هي قوتهم؟ وما هي قوتي أنا؟ سأهلك لا محالة في بداية الحرب، ستنتهي الحرب التي لم تبدأ بهلاكي.

كنت فزعًا من ذلك المشهد، المشهد الذي ينذر بهلاكي حتمًا، قلت في نفسي: أستطيع أن أغيّر ذلك المستقبل المخيف، لن أسرق الأوراق، ولن أكون مع أحد من ملوك الجان ضد سمية، كنت مستسلمًا لحياتي الميتة، كأني دفنت حيًا، كنت بين أنقاض مخاوفي ملقى وحيدًا، كل ما يهمني الآن أن فاطمة تصدقني، كان ضميري يتوهج من الكذب، كنت أستطيع إخماده، ولكني لا أستطيع إخماد نار الحب التي تشتعل في خلايا قلبي بسببك يا فاطمة، كان يؤلمني أنني كاذب ومخادع، وما زلت أملك قواي الخارقة، ولم أشف من شيء، قلت لفاطمة: إنه وهم، لترجع لي، كم فقدت الكثير بغيابك؟ لم أستطع أن أعيش بدونك، قالت لي سمية: أنت فعلت ذلك بنفسك، قلت لك مرارًا، لا تخبرها بشيء وأنت كالأحمق أصررت على أن تهدم كل ما بنيته في سنوات، قلت لها: كفى.. أنتِ لم توافقي أن أتزوج فاطمة، كنت أستطيع أن أحل كل شيء، ولكن بعض كلماتها جرحتك في وقت غضبها، هي كالطفلة تتفوه تلقائيًا ولا تعي ما تقوله.

قالت: لن توافق على الزواج منك، أنا أعلم هذا، لذا أحببت أن أحافظ على كرامتك ونرفض نحن قبل أن ترفضك هي، واستكملت حديثها بلين: سأحاول استرجاعها لك، ولكن عدني أنك لن تخطئ ثانيةً.

قلت بيأس: لا فائدة، لن ترجع، لقد قمت بكشف أوراقي لها.

قالت بخبث: سترجع إذا قمت بإنكار كل شيء، قل إنني شفيت.

حاولت سمية مساعدتي لاسترجاعك، لا أعلم لماذا ساعدتني، لتكسب ثقتي بها أم لغرض لا أعلمه؟ ولكنها قالت: ابتعد عن أصدقائها فهم سيفسدون علاقتكما ثانيةً..

تنازلت، تنازلت يا فاطمة عن أشياء لم أستطع أخبارك بها، تنازلت لأصل لك لتكوني زوجتي، وسأجعل أسراري داخل أعماقي، ولن أرتكب الخطأ ثانيةً بإخبارك شيئًا عن حياتي السرية، خدعتك بكل ما تعني القسوة، لا أعلم لماذا كنت دائمًا طعمًا سهلًا لي، لأن قلبك شفاف مثل الأطفال، أو لأنك تثقين في الآخرين بسهولة، أو لأنك تحبينني أو لأني حلفت بالله كذبًا ولم يستوعب عقلك الصغير أنني أحلف بالله كذبًا، كم تشابهت الآن مع إبليس، مع الشيطان عندما أقسم لآدم أنه على حق ليصل لمراده، أخذتي يدي يا فاطمة لترمي بي أمام نفسي التي أتحاشا لقاءها أمام ضميري الذي يكاد أن يقتلني، صفعتني صديقتك أشرقت حين ذاك بسؤالها عندما قالت: كيف تتزوج سمية؟، إنها ليست من عالمك أليس هذا حرامًا؟، كان سؤالها لطمة قوية أصابتني بها، والآن حان دورك لتتركيني أمام ضميري، وترحلي بتصديقك لي.

مشيت في الطرقات وأنا متهم أمام نفسي وضميري، شعرت أنني في محكمة والشوارع والمنازل تنظر وتشهد بإجرامي، حاولت أن أهرب من تلك المحكمة القاسية، أسرعت في خطايا، فرأيت عربة تسرع، حركت يدي نحوها لتتوقف، فركبت بسرعة وأنا أتلفت حولي كالمجرم، جلست بجوار شاب أنيق، وتحركت العربة في طريقها، كنت أتنفس بصعوبة فبدأت أهدأ، بعد دقائق معدودة أدهشني صوت ذلك الشاب الذي يشاركني مقعد العربة، وهو يقول بصوت مسموع:

أنت يوسف؟ أأنت يوسف، تمنيت أن ألتقي بك، يوسف العظيم زوج ابنة ملك الجان.

التفت نحوي الجميع، فسحقت من نظراتهم، حركت يدي اليمني اتجاه الشاب فضربته بخفة على كتفه، وأنا أقول كفى مزاحًا يا أحمد، كفى يا صديقي الناس ستصدق مزاحك، فأبعد الركاب نظرهم عني.. فتنهدت بارتياح.

استأذنت السائق ليوقف العربة وقلت: أحمد هيا ننزل لقد وصلنا.

نزلت أنا والشاب الذي لم ألتق به قبل الآن.

قلت:

تريد أن تفضحني أيها المارد اللعين في عالمي؟

قال:

رؤيتك كانت مفاجأة لي، ولم أنتبه.. عذرًا.

قلت:

ولمَ دخلت في هذا الجسد؟

قال:

ليس لك شأن بهذا.

قلت:

أستطيع أن أحرقك الآن.

أمسكت رأس الشاب بيدي وبدأت أقرأ القرآن، أعلم أن القرآن له سر عظيم، فهو بمثابة وقود حارق يحرق أي جني مهما بلغ من القوة في عالمهم، فجأة نطق ثانيةً وقال: توقف.. توقف.

قلت: ماذا تريد؟

قال: سأخرج.. توقف.

قلت: حسنًا أخرج ولك الأمان، ولكن قبل الخروج ردد العهد الذي لا يسمح لك بالدخول ثانيةً.

قال: أنت لئيم يا يوسف.

ابتسمت تلقائيًا.. بينما ردد هو العهد وخرج من جسد هذا الشاب المسكين.

أعلم كم عذبك هذا اللعين.. وجدت الشاب يتلفت حوله ويقول: من أنت؟ وأين أنا؟

لماذا تقف معي؟

قلت: كنت في العربة وجاءت لك نوبة صرع فحاولت مساعدتك، وأوقفت العربة لأنقلك للمشفى.

قال: شكرًا لك.

قلت: تأتي نوبات الصرع كثيرًا لك؟

قال بحزن: أجل، كنت صغيرًا عندما جاءتني أول مرة.

قلت: هل سقطت ذات مرة في دورة المياه وأنت طفل؟

قال باستغراب: أجل.. كيف علمت هذا؟

قلت: خمّنت هذا، إن شاء الله لن تأتي ثانيةً لك، شفاك الله.

قال بأسى: أتمنى ذلك.

كنت أعلم أنها لن تأتيه ثانية فقد شفي تمامًا.. كنت سعيدًا بذلك، وأكملت طريقي سيرًا، كنت أنظر للمنازل والشوارع وأقول بصوت لا يكاد أن يسمع:

أرأيتهم؟.. أرأيتهم ماذا فعلت؟

كم تألم هذا الشاب؟ وأنا كنت سببًا في إنقاذه.. شعرت أن هذا الشاب دليل براءتي من محكمة نفسي، التي نصبت لي منذ قليل.

كنت أردد في نفسي: يجب أن أكون هكذا لإنقاذ هؤلاء المرضى، يجب أن أكون متصلًا بالعالمين.. عالم الجن وعالم الإنس.. لأساعد الناس.

ولكني أدركت الآن أنني كنت مخطئًا تمامًا، أدركت الحقيقة التي كانت مختفية عني، كنت أظن أنني أعلم كل شيء عن أي شيء، ولكني أدركت أنني لا أعلم شيئًا، وأنني أحمق، ستعلمون وستندهشون فيما بعد من غبائي التام، حينما أرسلت فاطمة رسالة تقول: انتظر الرد مني بعد صلاة الاستخارة، انتابني قلق شديد، لا أعلم لماذا؟ أيكون لأني استشعرت أنها تسأل الله عني؟ لا أعلم لماذا وضعتني فاطمة في هذا الموضع المرعب؟ ستسأل الله عني هذه الفكرة تخيفني، ترعبني.

انتظرت بترقب وخوف، وكما استنتجت ابتعدت فاطمة بدون شرح، ابتعدت وقالت جملتها الأخيرة: أنت تعلم أنك كاذب.. أجل أنا كاذب ومخادع كم هي مؤلمة الحقيقة.

ابتعدت فاطمة لأعيش بقية حياتي ميتًا.. كانت عيناي تدمعان، لا أعلم ماذا حل بي، لم أصدق أن رجلًا يمكن أن تدمع عيناه، ولكني صدقت الآن عندما رأيت دموع عيني تتسابق للنزول، وجدت نفسي عاجزًا تمامًا، كان جسدي ثقيلًا جدًا، لا أعلم ماذا حل بي وقتذاك.

قلت بعض الكلمات التي تنقلني لعالم الجن لأتشارك أحزاني مع زوجتي سمية، لست سعيدًا بحياتي هذه، ولكن كيف أتخلص من لعنة الكتاب ومن زوجتي؟ سأدمر حياتي إذا حاولت التخلص من هذه اللعنة، وسيدفع

أخوتي وأبي وأمي وعائلتي جميعها الثمن، سيهلكون بسببي أنا، لذلك استسلمت، ورضيت بقدري.

وجدت نفسي بين جدران القصر، نظرت حولي لأقتل الحزن بجمال المنظر، كم هو رائع أن ترى جدران القصر وبها نقوش من الذهب الخالص، لم أجرؤ قبل الآن أن أمشي في أنحاء القصر بمفردي، ولكني فعلتها لكسر الحزن الذي يملأ قلبي، سيطرت عليّ روعة الجمال، فوجدت نفسي أنساق لا إراديًا للجمال، دخلت غرفة وخرجت من أخرى، قضيت حوالي ساعتين وأنا أتجول في القصر، لم تكن زوجتي موجودة، ولا أبوها ملك الجان ولا الجنود، كان القصر خاليًا تمامًا، فساعدني خلوه على أن أتسكع به بقدر ما أشاء لأرى روعته.

دخلت غرفة سرية أظن أنها تخص زوجتي سمية لاحتوائها على بعض من ملابسها، كانت توجد أوراق في الخزانة، أمسكت الأوراق لأنظر، ولكني تذكرت المشهد الذي رأيته من مستقبلي، أظن أن هذه الأوراق هي الأوراق التي سرقتها، كان المشهد يدق في خلايا ذاكرتي فوجدت يديّ ترتعشان بالأوراق، لا أعلم لماذا يتدفق كل هذا التيار الكهربي في يدي؟ نظرت فوجدت ورقًا أبيض، تفحصته فوجدت به بعض الخطوط كأن الزيت رسم عليه، أمسكته لأضعه في الخزانة كما كان، ولكني فوجئت، بل اندهشت بهذا المشهد لأتراجع عن إعادة هذه الأوراق، لقد رأيت زوجتي سمية تقف أمام البحر منهارة القوى تقول بصوت مبحوح وضعيف: لوسيفر سامحني أرجوك، أأمر بقتلي، أنا حقًا خائنة، لقد أضعت أوراقك فأنا إذن أستحق الموت.

هاج البحر وأصبح كالدوامات تكبر وتكبر تدريجيًا، حتى ظهر عرش عظيم، كرسي ضخم وعظيم يجلس عليه ملك ملوك الجان، إنه إبليس.. الشيطان.. يا للهول!!

عندما ظهر العرش هوت على ركبتيها تطلب أن يأمر بقتلها، فقال جملة نفذت في كل خلية من خلايا جسدي، جعلت قلبي شعلة ملتهبة من النار:

"أغبياء، هم أغبياء، لن تستوقفهم مذكراتي، بل سيمرون عليها وكأنها كلمات جردت من اللغة، كلمات حمقاء، دعك من هذا الآن، لقد حان موعد اقترابه، لقد اقترب موعده مجيئه كثيرًا، إنه المسيخ الدجال، إنها فتنتهم الكبرى التي تنعش قلبي، وتروي ظمئي، الفتنة التي ستغرقهم جميعًا، الأنبياء جميعًا حذروا أمتهم منها لعظمها، والآن اقترب.. كم هذا يسعدني كثيرًا..

أمسكت الأوراق وأنا أستشيط عضبًا، قلت الكلمات التي تنقلني إلى عالم الإنس، إلى عالمي، كنت متوترًا وخائفًا، لا أعلم أنني خائف أو غاضب أو كليهما، كنت أشعر بمرارة في حلقي كأني أتجرع شرابًا مر المذاق، لا أعلم أهو شراب الألم أم شراب الخوف، ولكني شربته في صمت مخيف، ووجدت نفسي لا إراديًا أتوضأ وصليت ركعتين توبة وأجهشت بالبكاء ودعيت الله أن يسامحني ويحفظني من عالم الجن.

كنت خائفًا ولكني تغلبت على الخوف المرعب الذي يسكن قلبي، وجاءتني الفكرة كأن ربي أوحي إليّ في تلك اللحظة كما أوحى لأم سيدنا موسي.

الفكرة هي أن أقرأ آية الكرسي، وأرددها كثيراً وأيضًا الآية القرآنية (وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ) (يس: ٩)، لقد فهمت الآن لماذا حجبت عنهم.. لماذا لا يرون قريني، كنت سعيدًا جدًا بأني أصبحت مع الله، وليس كما توقعت مع أحد من ملوك الجان.

قرأت بعض آيات من القرآن الكريم على ماء، وغمّست الورقات فيه لتظهر الكتابة، كنت أعلم أنه كتب بحبر سري للإنس، وإبطال مفعوله في القرآن، غمست ورقة خلف ورقة وظهرت الكلمات بخط عربي واضح، وجدت نفسي أدون ما يظهر على دفتري بغضب. كانت الكلمات تحرك كل خلية في جسدي لتغضب. كم كنا أغبياء حقًا!!.. لماذا كنت رسول الشيطان ولا أعلم؟

كتبت اعترافات إبليس ودونت كلماته في دفتري، وذهبت لصديق لي يعمل صحفيّا في جريدة، وأعطيت له دفتري وقلت: أريد منك أن تنشر هذا أرجوك.

ابتسم وقال: لا أعلم أنك كاتب يا يوسف. قلت: ستكون أول وأخر كتابة لي أرجو أن تنشرها في الجريدة صبحًا. قال باستغراب وهو يفتح الدفتر: اعترافات إبليس!! كم العنوان غريب وشيق!! قلت في نفسي: أيكون حديث إبليس حقًا أننا سنمر على مذكراته كأنها كلمات حمقاء جردت من اللغة.

في اليوم التالي أسرعت لشراء الجريدة كنت أتوق لرؤية المقال الذي دونته في دفتري أمس، وعندما رأيته في الجريدة شعرت بفرح يسري في خلايا جسدي وانتصار بعض الشيء كوني نشرت اعترافات إبليس، وبدأت بقراءتها ثانيةً وأنا أستحضر المشهد التي رأيته.

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (فاطر: ٦).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) (النور: ٢١).

# اعترافات إبليس

إنني الشيطان اللعين، أليس هذا أيها البشر، تطلقون عليّ هذا الاسم الأبله، ولا تعلمون ماذا يعني؟ الشيطان لأني طردت من رحمة الله، اللعين لأنني خبيث لن أتركم، كيف أترك من جعل قلبي يشتعل نارًا، أنتم سبب طردي من رحمة الله، أنتم السبب، سبب كل تعاستي، اخترت حياتي هذه لأفضحكم أمام الله، لأقول إنكم أغبياء لا تستحقون لأسجد لأبيكم، إنكم الحمقى، أحيانًا أضحك عليكم كثيرًا، تنخدعون بأسهل الطرق، لم أجد صعوبة في خداعكم بما أنكم خُلقتم من الطين الذي أمشي بقدمي عليه، أعلم أن الله أكرمكم، ولكن من حسن حظي أنكم لا تعلمون هذا، لا تعلمون العقل الذي ميزكم به الله، أوقفتم هذا العقل، لا أخفي عليكم كان إيقافه بتخطيط مني مسبقًا، أمة لا تقرأ، فلا عقل يعمل، كيف أترككم لتقرءوا، وتتعلموا، وتتفتح أبواب عقولكم المغلقة لينفتح العلم داخل قلوبكم أيضًا.

إن أول كلمة نزلت في القرآن الكريم على النبي محمد "اقرأ" فجعلتها في قاموسي لا تقرأ، سأحاربكم أيها الأغبياء، بكل أسلحتي، أول سلاح

استخدمته ضدكم هو "حب الخلود وحب الحياة"، ضحكت على أبيكم آدم به، فصدقني عندما أقسمت له بالله لأنه لا يعلم ما هو الكذب؟ كيف يقسم أحد بالله كذبًا، ولكنه استجاب واستمع لكلامي، وطرد من الجنة، وكان هذا أول انتصار أحققه، وأعلم أنه لم يسمع كلامي ثانيةً، ولم أحاول معه أصلًا ثانية، يكفي ما حققته معه، ولكني لم أترك ذريته في سلام.. هيهات هيهات.. الآمال بعيدة، لن أترككم أيها البشر الأغبياء، وثاني سلاح استخدمته هو "الحسد والحقد والكره" إنه قنبلة ذرية تتفجر في قلب الإنسان عندما يحملها لتؤدي به إلى الهلاك المحتوم، الهلاك الذي إذا تحكم في تصرفاته وأفعاله يصبح كأنه إنسان آلي، وأنا أحكم السيطرة عليه ليخرج أسوأ ما عنده؛ الغصب الذي يدفع الإنسان للقتل كما فعل قابيل وقتل هابيل، وكذلك استغليت ضعف إيمانه لأقذف الشر داخل قلبه ليشتعل نارًا، ويحقد ويحسد ويغضب على أخيه، لم أقل له من البداية اقتله، لكني جعلته يفعل دون أن أقول، جعلت قلبه ينفجر حقدًا على أخيه فقتله، سلاح الغصب الذي أستخدمه دائمًا، مثل قنبلة، كأن الإنسان رجل آلي لا يعلم ماذا يفعل إذا تناثر الغضب داخله.

إن حب الخلود مولود داخل كل إنسان، لذا استخدمته سلاحًا أيضًا، وأصبحت أضحك عليكم به، إنكم لا تصدقون أنكم ستموتون، حتى لو كررتوها آلاف المرات إنكم حقًا حمقى، أغبياء، جعلت حب الحياة ينزرع في قلوبكم، وتتلاشى فكرة الموت في عقولكم، حتى ظننتم أنكم مخلَّدون في هذه الدنيا تفعلون ما شاء لكم أن تفعلوا، أنا الآن أيها الحمقى لا أعمل لوحدي كما أغويت آدم وحواء، فمعي الآن جنود كثيرون جدًا، ومعي أيضًا جنود منكم ولا تعلم، أليس هذا ذكاء مني أن أجنِّد جنودًا

منكم لتحارب نفسها، أشك أن العقل الذي ميزكم به الله يمتلك ذكاء مثلي، إنني فخور مما حققته.. أشعر أحيانًا بالانتصار، بالفخر بذكائي، وأنتم في نوم وغفلة تامة كأنكم تتناولون أقراصًا منومة للعقل، تهدرون العقل في الترف واللهو، أليس هذا رائعًا؟ لم أسجد لآدم ولكني أغويته، وطردت من رحمة الله لأنني لم أسجد، كيف أسجد ياالله لبعض الأغبياء والحمقى من عبيدك؟ كيف أسجد لمن خلق من طين؟ أجل إنكم من الطين، ذلك الشيء القذر، عندما دعوت الله بالخلود ليس لأتمتع بالحياة، لا، لأغوينكم جميعًا، لأسحبكم معي إلى النار، أنتم لا تستحقون غير النار، النار التي خلقت منها أليس هذا فخرًا لي؟ أعلم أنني سأتعذب معكم، لا داعي أن تذكروني بهذا، ولكن النار خلقت بها، النار التي ستعذبكم، خلقت منها أنا إبليس، ما هو أفضل لي، أعذبكم بالنار أو أسجد لمن خلق من طين؟

أحيانًا يفزعني الإنسان المؤمن، أرى فيه أشعة تخرج من جسده كأنه خلق من النور لا من الطين، لا أقدر على النظر إليه، لو رأى نفسه كما أراه لكان الغرور تسرب إليه حتمًا، كان سيتسرب إليه بالتأكيد، ولكنه لا يرى نفسه، لم ير الطاقة التي تنبعث من داخله، لم ير النور الذي يشع داخله، لم ير شيئًا، قلبي يستشيط غضبًا، ويشتعل نارًا كأنه بركان، لا أستطيع أن أقترب منه، من شدة الضوء، من شدة الأشعة التي تنبثق منه، والنور الذي يشع من داخله، لا أعلم ما هذا بالضبط، ولكن حتمًا لن أتركه، لن أتركه، فأنا أسلط عليه أتباعي من الإنس، فهم لا يرون هذا الضوء، فلا مشكلة لديهم، لن يتضرروا من الأشعة التي تخرج منه، ولكن أنا لا أستطيع الاقتراب منه.

السر هو الإيمان الذي لا يعلمه أحد، القلب كما قال نبي الله إبراهيم (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء: ٨٩)، وأنا استخدمت القلب لأجعله أسودَ بالحسد والكره والحقد، لطرد حب الله من قلب الإنسان، وشككت الإنسان بوجود الله، وليس من الصعب عمل هذا، لأن الإنسان مادي ومحدود، ولم يستطع إدراك القوة العظمى التي تتحكم بنا إلا بالقلب والعقل، وأنا قد سيطرت عليهم، العقل لا يقرأ فلا يعمل، والقلب يتلون بالسواد والحسد والكره والحقد، تخيلت للحظة إذا امتلك الإنسان قوة البصر العظمى لكشف المؤامرة عليه لرآني ورأى النور الذي ينبعث من الإنسان المؤمن، وشاهد كل شيء.. إذا امتلكوا البصر الحديدي الذي سيمتلكونه بعد الموت الجسد (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (ق: ٢٢) لافتضح أمري بالتأكيد، لكانوا أصبحوا أشد إيمانًا، كنت لا أستطيع أن أغوي أي أحد منهم، لا أستطيع أن أقترب منهم.

إنكم أغبياء.. استيقظوا من سباتكم على أنني الشيطان اللعين الذي طرد من رحمة الله، أوقفوا المسرحية كفا تهريجًا، كم تعبدون الله؟ سنة أو عشر سنوات أو حتى عمركم كله؟؟ نسيتم تاريخي في العبادة؟؟ أضحك في بعض الأحيان عليكم أيها البشر، إنني خنت تاريخي لتاريخ أفضل، أحقق انتصارات وأنتم تساندونني.. كم هي الحياة مسرحية بالنسبة لي وأحيانًا أظنها لعبة.

إنني أخاف النار، ولكني أريد أن أثبت لرب الكون أن عباده هؤلاء الذين نصرهم عليّ هم الآن أتباعي. وجدت فجأة الله سبحانه وتعالى خلق مخلوقًا غريبًا من طين الأرض وأمرني بسجود بعد تكرمي وإعطائي لقب طاووس الملائكة، أيمكن بعد أن أكون أفضل مخلوق أن أسجد لمخلوق

من طين؟؟ أنا الذي خلقت من نار كيف أسجد لمن خلق من طين، وبعض انتصاراتي أنني شككت كثيراً منهم في أن القرآن ليس كلام الله، وأنهم سيكونون أغبياء إن اتبعوا كلاماً منزلًا من آلاف السنين على أنه كلام الله وهم في عصر العلم والتكنولوجيا، وأن الكون والحياة خلقت بالانفجار العظيم، وأين الله؟ ما الدليل على وجود الله؟ ونجحت، وكان الدليل في أيديهم ولو رأوا القرآن كما أنا أراه لكنت فشلت بالتأكيد، ولكنهم عُمي، لم يقدروا أن يشاهدوا الطاقة الهائلة التي تنبعث من كل حرف في القرآن. لقد اجتهدت كثيراً كي أفك شفرات الإنسان.. كيف يفكر، وكيف أستطيع أن أتحكم فيه، واكتشفت أنه لا يمتلك شفرات أصلًا، إنه ساذج بمعنى الكلمة، لو قلت له افعل هذا سيفعله بدون أي عناء، كيف صدق بعض منهم أنه لا يوجد إله؟ كيف اقتنعوا بهذا بكل هذه السهولة؟!! لم أجد معاناة في إقناعهم بأي شيء أريده. يستولي عليّ الفضول أحيانًا، كيف يؤمن بالذرة والميكروب والفيروس والأفكار والإلكترونيات، والموجات؟ كيف يؤمن بالروح ولا يؤمن بوجود إله؟؟ ألم يفكر ولو لدقيقة كيف خلق جسده بهذا التنظيم؟؟ ولكن من حسن حظي أنه لم يفكر، وجعلت تفكيره مقتصراً على أشياء لا تفيده.

لقد جعلت جنودي من الإنس الذين علمتهم السحر، طريقًا بيني وبين الإنس، ليدركوا القوة الهائلة التي يمتلكها السحرة ويشعرون بوجودها.. جعلت الإنسان الذي يمتلك قوة الشر يعلم كل شيء عن أي إنسان.. جعلت له خادماً من الجن يحكي له كل شيء، يتسلل الخادم ليعلم من القرين كل شيء عن حياة الشخص، وعندما يقول الساحر للشخص عن أسراره يقذف به في بحر من الحيرة، ويقول: كيف علمت هذا؟ كيف

علمت هذا؟ وبذلك يكون قد سقط في بئر التصديق، لقد صدَّق السحر، وشعر بوجودي، واقتنع أنني قادر من غير قول أي شيء، وأصبحت بالنسبة له الإله وهو العبد.

أضحك على الأغبياء من البشر الذين يقولون إننا لا نصدق كيف كانوا في الزمن القديم يعبدون الأصنام، إنهم لا يفقهون قولًا، أنتم الآن أيها الأغبياء تعبدون الأصنام، ولكن بأسماء أكثر رقيًا لتناسب زمن الذرة، أصنام المال وأصنام الشهرة وأصنام الشهوات، وأصنام النفس حتى النفس في هذا الزمن تعبد، تعبدون الأصنام وتقولون إنها الحرية، الحرية أيها الحمقى أن تتحرر من نفسك ومن قيود الشهوة فلا تعبدها وتكون ذليلًا لها، أن تتحرر من قيود الطين والجسد فلا تعبده.

عجبًا أصبحت أنصحكم، أنا الشيطان من فرط غبائكم، والقلب الذي يفزعني هو خيط رفيع وهو حبل الوصل بينك وبين الله سبحانه وتعالى يراسلك بالقلب ولا تعلم كما راسل أم موسي (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي) (القصص: ٧)، إذا نفضت الغبار الذي يملأ قلبك ستصلك رسائل الله بالتأكيد، ولكن الآمال بعيدة أيها الطين الصلصال، وما مهمتي إذن؟ وماذا ستكون مهمتي في إعطائي صلاحيات الخلود؟ لأتركك تنظف القلب لتتواصل مع الخالق لتسمو روحك ويعلو الطين مرتبه لم أفهمها بعد كيف أصبح الطين نورًا، أشعة تندفع من جسدك، سأقذف في قلبك الحسد، لا، لا لم أقذف شيئًا، إن كل مهمتي هي فقط أن أدفعك كي تفعل الشر، وتكتشف وتفتح أبواب الشهوات المغلقة، تصبح أنت القوي المهيمن على من حولك،

أعجبت بالفكرة، وقادك الفضول لتفتح أبواب شهواتك وسمعت حديثي ونفذته.

إن الكره لم يولد في قلبك إلا وأنت تحب نفسك أكثر، والحسد لم يتكاثر في قلبك إلا وأنت تكره الخير للآخرين، لا ذنب لي، أنا وجّهتك للشهوات التي تُفنى عندما يُفنى الجسد، الشهوات التي أصبحت أبوابًا مجهولة بالنسبة لك، وأنا أدلك عليها لتجرب وتستمتع، لتشعر أنك من الطين لتهبط إلى مرتبتك الأصلية وهي الطين، والأصنام التي زينتها لتليق أن تعبدها هي حب المال، الصنم الذي يعبده كثير من البشر ويظنون أنهم إذا امتلكوه سيمتلكون السعادة، إنهم يدمرون كل القواعد للوصول إليه، القواعد التي تحفظهم بوصفهم بشرًا، حتى أصبحوا عبيدًا لصنم المال لا بشرًا.

إن لعبة الحسد التي تمارسونها هي أشد ما يضحكني منكم، فالإنسان عليه أن يتمنى فقط ليتلون قلبه بالسواد، وأنا عليّ فعل الباقي، كأنه أعطاني كرت إذن بالدخول لأدمر النعمة التي يتمنى زوالها، سأفجرها وستصبح جحيمًا، فقط عليه أن يتمنى، وأن يجعل القلب مكبًا للقمامة والنفيات لكي لا يرحمه الله، ولكي لا يتمكن الإيمان من التسلل إليه، لكي يكون منزلي أنا فقط. إنكم في نوم تام وغفلة أزلية، لن تستيقظوا إلا عندما تخرج الروح من أجسادكم المادية أيها الحمقى، وأنا أريد هذا بالتأكيد، بل أنا فخور بهذا الإنجاز.

وأظن أيضًا أنني تغلبت على الفطرة، فأنا لا أسمع الآن إلا همسًا، صوتًا خافتًا يكاد لا يسمع، وأحيانًا لا أسمع شيئًا من الأساس، لقد ماتت الفطرة ومات نسلها، ماتت الفطرة التي كانت تفزعني.

جاء رجل ليساعد فتاة لا يعرفها، فقط لأنها فتاة تريد المساعدة، الصوت الذي حركه ليساعدها فطرته التي صرخت داخله ليساعدها، أصبحت الآن في هذا العصر همسًا، كادت أن تموت في البعض، وماتت بالفعل في البعض الآخر، يالسعادتي، ماتت الفطرة التي كانت تؤرقني، رأيت فتاة تتحدث بحرية، والابتسامة على وجهي كنت سعيدًا، كيف لا أكون سعيدًا وقد قالت: إنني أدفن نفسي في هذا المجتمع اللعين، فلا ألبس كما يحلو لي.. ياللغرابة إننا في مجتمع شرقي يحافظ على اعتقادات بالنسبة لي هي خرافات بعينها، متى نتحرر من الخرافات والأديان التي نقيد بها أنفسنا من عادات وأخلاق بالية، متى نصبح أحرارًا؟

لقد أيقنت أن الفطرة ماتت وستشيع غدًا في جنازة الحضارة، الفتاة التي تتكلم الآن في زمن كان الحياء فيه يكسوها، وكانت تتزين بالخجل، تريد أن تكون حرة، ولا تعلم ما هي الحرية؟، كانت لقمة سهلة المضغ بالنسبة لي، لتقتنع بسهولة أن الحرية هي فتح أبواب الشهوات والانسياق وراءها، وأن يسقط الطين إلى مرتبته الأصلية الحيوانية وتقودهم الشهوات، ولا تترك الروح لتسمو بالجسد الذي صنع من الطين ليرتفع إلى مراتب تفزعني ليعلو صوت الفطرة داخله.

لقد جعلت الدين تجارة ليس لصالح الإنسان أكيد، ولكن لصالحي أنا، فقط أنا الذي يربح من هذه التجارة، فعلى الإنسان أن يلفظ الكلمة العظيمة "الله" بالكذب، وأن يحلف الإنسان كذبًا ليبيع بضاعته ظنًا منه أن كلمة "الله" أهون شيء على لسانه، ولم أكتف بهذا، بل جعلته يلعن ويسب دينه، كأن اللعن وسب دينه العظيم قوة في حد ذاتها له، خرج

ليستعرض قوته وعصبيته على الآخرين، يالحماقته وغبائه، فهو الخاسر الوحيد في هذه المعركة.

لقد ميزكم الله بالعقل وأنتم تدفنون هذا العقل في الترف واللهو. لقد اندهشت من عقل أينشتين ونظريته النسبية عندما أوضح أنه كلما زادت السرعة تباطأ الزمن، وقاس معادلته بالنسبة لسرعة الضوء ٢٩٩٧٩٢٤٥٨ م/ث ولم يكن معه القرآن، كما أنه لم يكن مؤمنًا من الأساس، ولكنه استدل على وجود الخالق من خلال الطبيعة نفسها وهذا ما جعلني أجن أكثر، ولكن ليس كلكم أينشين وهذا من حسن حظي، بل إنكم كنتم أغبياء عندما عطلتم هذا العقل المعجزة، ولتقرءوا نظرية أينشتين وأنتم عمي الإدراك قبل مولده في القرآن (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) (السجدة: ٥)، كم أنتم حقًا أغبياء أيها البشر تنساقون انسياقًا أعمى وراء العلم وتغترون به، ولا تعلمون أنه موجود في كتابكم المقدس القرآن الكريم، ولا تؤمنون به وتؤمنون بعقل أينشتين الذي أثبت صحة قرآنكم!! كم أنتم في تناقض وفي غباء تام.

لقد دمر أينشتين حواسكم وأثبت أن كل ما ترونه كذب في كذب، وأن حقيقة الدنيا ليست في حواسكم، ليست في نظرك ولا في سمعك، وقال مقولته الشهيرة: [إننا سجناء حواسنا المحدودة]. لقد أثبت أن الألوان هي موجات لا تختلف في شيء إلا في طولها، وذبذبات متفاوتة في ترددها، وعينك لا تستطيع رؤيتها في الحقيقية كموجات، ولكنك تترجمها في داخلك كألوان، وما زلت تثق في عينيك وفي حواسك المحدودة وتقول إن وجودي كذب، لأنك لا تراني بنظرك المحدود، ولكن كيف ترى الإشارات الكهربية

التي يرسلها جهازك العصبي للمخ؟ لا ترى شيئًا، فقط تشعر بوجودها، هكذا أنا لا تراني، ولكن ليس لأنني لست موجودًا، لا، ولكن لنظرك المحدود الذي لا يرى الحقيقة، إنما أنت خلقت من الطين.. ألم تفكر كيف تحولت من الطين إلى أنسجة وخلايا؟ إنها بداية الخلق من الطين، وتفاعل المواد التي كونتك على شكلك هذا، كما بداية خلقي من النار، كما ذكر في القرآن الكريم (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) (الرحمن: ١٥).

ألم تتوصلوا إلى عنصر الأيدروجين كي تعلموا أن العناصر كلها جاءت من عنصر واحد في باطن الأفران النجمية الهائلة ألا وهو هذا العنصر؟؟ ألم يدلكم هذا على وجود خالق واحد؟؟ ألم تعلموا أن الضوء الأبيض في باطنه كل الألوان كما ترون في ألوان الطيف السبعة؟؟ ألم يدلكم ذلك على أن هناك خالقًا واحدًا، أم أنتم عمي الإدراك؟؟

إنني أزين الكذب لأتباعي، حتى الغيب الذي كشفته لهم، لم يكن غيبًا، كان مجرد هتك ستار الزمن لهم، ألم أقل إنني خلقت من النار وسهل عليّ أن أرى ما سيحصل بعد يومين لأن ذرات جسدي أسرع من ذرات جسدكم، ففي إطار الزمن فإن ما حصل قد حصل وانتهى، ولكنه في زمن البشر لم يحصل بعد، وإذا طبقتم نظرية أينشتين ستعرفون أنني قادر على هتك ستار الزمن، ولكن الغيب لا يعلمه إلا الله، لقد قال تعالى: (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) (النمل: ٦٥).

إن أي شيء يحصل معكم أو تشاهدونه من قوتي تنبهرون به وتعبدونني إثره، أنتم أغبياء، حتمًا ستعبدونني وستنبهرون برسولي الذي جندته لي إذا كان شخصًا عاديًا أقول له إننا ملائكة وأكشف عنه ما حجب له، وأضلله حتى يؤمن بي تمامًا وكأني أنا ملك من عند الله، وإذا كان رجلًا

عابدًا ويتبعثر الغرور في دمه فإنني أجنده أيضًا وهو لا يعلم بغبائه، أجل هو رجل عابد، ولكنه يحب أن يقول الناس عنه إنه ولي من أولياء الله الصالحين، لذلك لا أحرمه من هذا اللقب في الدنيا، أجعله يعلم كل شيء عنكم، وأيضًا أجعله يشفي المرضى، وليس هذا بصعب عليّ، هذا لأن مرضهم من الأساس كان بسببي أنا، فقد سلطت عليهم جنودي من أتباعي الشياطين، فيدخل الشيطان منهم جسد الشخص ليمرضه، والرسول الذي جندته عندما يقرأ طلاسم عليه يخرج الشيطان الذي أرسلته فيتعافى الشخص المريض وتصيحون وتقولون: الشيخ جليل، وعابد الله لا أكثر من هذا. تقولون إنه ولي الله. يضحكني غباؤكم كثيرًا، وأنه يعلم كل شيء عنكم عن طريق قرينكم أيها الأغبياء، وأن أجعله قادرًا على تحويل الحديد إلى ذهب، وهو لم يكن ذهبًا قط، لقد أثرت على مركز النظر في عيونكم، فأنا قادر على أن أزيد الإشارة الكهربية لمركز النظر في المخ فيختل ليرى كما أريد أن يرى مثل سحرة فرعون، كما أخبركم الله في كتابهُ العظيم: (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى) (طه: ٦٦).

إنني عبقري، ألم تقولوا إن في الحرب كل شيء مباح، أجل، لقد جعلت كل شيء عندي مباحًا، فلم أرتضي أن أجعل الإنسان يعبد شهواته فقط، لا، بل أجعله يقولها على لسانه ويكفر، ليتأكد الله أنه خرج من عبادته، ولأتأكد أنا أنه سيدخل النار معي، أجل إن الله رحيم، ولكن أنا لست رحيمًا، كل إنسان أدخل له بطريقته، الذي يحب الشهوات، أغمره بالشهوات، والإنسان المسلم أدخل له في الطاعة فأجعله لا يصلي، وإذا

غلبني وصلى أجعل كل الأفكار تهاجمه في الصلاة، وإذا أخرج صدقة أجعله يتفاخر أمام نفسه حتى يتفاخر أمام الناس.

إن الإنسان قادر على محاربتي بجهاد شهواته ونفسه الأمّارة بالسوء، والدعاء لله أن يطهر قلبه، ولكنه لا يفعل، لم يدع الله، وإذا دعا الله تأتي لي الحمى فتقيدني عنه، إنها الحرب التي تبدأ عند مولد الشخص وتنتهي عندما تخرج الروح من جسده، إنها الحرب التي لا يعلم عنها الكثيرون، وهذا من حسن حظي، لقد أرسلت أتباعي من الجن ليسترقوا السمع من الملأ الأعلى كما أخبركم ربكم بهذا قال تعالى: (إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ) (الحجر: ١٨)، ولم تكن تلك الأخبار التي نسمعها غيباً، إنما هي استباق في الزمن، حيث أسرع بإرسال هذه الأخبار لأتباعي من الإنس العرافين والكهان ليخبروكم بالمستقبل لتسقطوا في بئر تصديقي.

يفرحني كثيراً أن معظمكم مبهورون بالعرافين والكهنة، وتساءلت: لماذا يخفي عليكم ربكم المستقبل؟ ووجدت الإجابة، لقد تخيلت البشر قادرة على معرفة المستقبل فعندها سيبادرون بالشر ويتباطؤون بالاجتهاد إذا كان خيراً، ولكن أنتم تستعجلون كثيراً لمعرفة المستقبل، لذلك لا أحرمكم من استعجالكم وأخبركم بالمستقبل، وأزيد عليه كذباً من عندي، أدس كذبي في الحقيقة لتصدقوا كلاهما، أعلم أن بعضًا منكم لا يذهب للعرافين والمنجمين، لذلك أسلك طريقًا آخر لهم بأن أجعلهم يرون المستقبل المخيف في الحلم، لا تستغربوا فأنا قادر أن أتحكم في أحلامكم، والدليل على ذلك أخبركم به رسولكم: (الرُّؤيَا الحَسَنَةُ منَ الله، والحُلُم منَ الشَّيْطَان، فَمَن رَأى شَيئًا يَكرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَن شِمَاله ثَلاَثًا، ولْيَتَعَوَّذْ منَ الشَّيْطان فَإنَّها لا تَضُرُّهُ)، ألم يخبركم رسولكم (لَمْ يَبْقَ مِنَ النُبُوَّة إِلاَّ

المبشِّراتُ، قالوا: وَمَا المُبشِّراتُ؟ قَالَ الرُّؤْيَا الصَّالحةُ).. لذلك دخلت في منامكم ليختلط عليكم الأمر. بين الإيمان والكفر خيط رفيع يعلمه المؤمن ويجهله الذي يدعي الإيمان.

الرؤيا التي من عند الله يعلمها المؤمن، ويكشف عبثي في الحلم، يؤلمني هذا أنه قادر على كشف ألاعيبي، لا أستطيع إغواءه، فأسلط عليه أتباعي من الإنس لتجعله في ضيق وحزن دائم.

يضحكني كثيراً أن ربكم أخبركم أنني أقسمت بإغوائكم جميعًا (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (ص:٨٢-٨٣)، ومع ذلك تسمعون كلامي، أليس هذا غباء منكم وذكاء مني؟

يدهشني أن القلب داخل أجسادكم يتغير ليصبح حجراً من فرط القسوة، أجل أجعل الإنسان لا يمتلك ذرة رحمة في قلبه، ويتلذذ بتعذيب أخيه الإنسان، وهذا اجتهاد مني أيضًا، تقتلني الأخلاق الحميدة التي توجد في البعض منكم، لذلك حاولت كثيراً أن أمحو تلك الأخلاق، وبالفعل نزعتها منكم أخيراً، ووضعت مكانها الغل والحقد والكره، لقد صدق ظني فيكم عندما قلت لربكم: (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف:١٧)، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) (سبأ: ٢٠)

تمت بحمد الله

وفي النهاية أحب أن أختتم كلماتي بنصيحة لأمي:

يا ابنتي اسلكي طريق العفة والكرامة، ذاك يعليك قدراً واحتراماً، ولا تنظري إلى من يهتمون بالمظاهر الكاذبة، حتي وإن كان لها بريق يخطف القلوب والأبصار، كوني أنتِ الثابتة مثل الجبال.

**يا ابنتي اصنعي لك جمالاً بالتميز لا بالتصنع..**

**يا ابنتي اصنعي لك جمالاً يكون رداءه التواضع والبساطة.**